
سلسلة
روايات
الشباب
الدرك
الأسود
ايمان الشاذلي
ساحر الكتب

إهداء

- إلى عشاق الرعب..

- إلى الأرواح التي شاخت بيننا خوفًا وجوارحنا لم تدركها.

تنويه

إذا أردت قراءة المجموعة.. عليك إطفاء النور والبقاء بمفردك.

القصص مستوحاة من الواقع كما رواها أصحابها

مقدمة

قد تعيش حياة عادية.. تسكن فيها كل الأشياء، تستيقظ صباحًا، تتناول الفطور وقدح القهوة، تمر بمراحل روتينية تتكرر كل يوم..

تنظر في وجوه الناس حولك.. في الشارع، في العمل!، لا يجمعك بهم سوى قدر اللقاء..

لحظات؛ يمر وجه، ثم يتلاشى ليحل مكانه آخر، ولا تتوقف الحياة!.

أركَّزْت يومًا في ملامح أحدهم وتساءلت "ماذا يُخفي تحت جلده؟!".. أيعيش طبيعيًّا؟!.

تنقلب الحياة رأسًا على عقب، ترى أشياء لا تعرف ماهيتها، مصدرها وربما طبيعتها..

أشباحٌ ربما، أرواحٌ قد تكون.. عفاريتٌ كما يظن البعض!.

صدق أو لا تصدق..

بين طيّات هذه الوُريقات قصص حقيقية، لأناسٍ يعيشون بيننا.. لو مررت بجوار أحدهم لما شعرت به فهو كغيره.. لكن ما إذا لمست حياته، وعشت داخلها.. امتلأت رعبًا...

وقطعًا لن يكون كرعبه أبدًا..

جثة من بيت مهجور (١)

على منضدة بشرفة منزلٍ جديد، تلفحني نسمات الخوف الآتية من بعيد، ذكريات من الرعب امتصت ما تبقى من نضارتي.. ماضٍ يدثرني بالفزع والوحدة، يحجب عني لحظات الأمان!.

أمٌّ لطفلين.. أكبرُهما لم يُنه العقد الأول من عمره بعد، كنت كزهرة الأقحوان؛ جمالي يسر الناظرين، عبيري يخطف كل من مررت به، زوجي يعمل مهندسًا..

يُحتم عليه عمله الانتقال من مكان إلى آخر.. وهناك أمور أخرى أيضًا قد تفرض هذا الأمر.

لم تستهوني حكايات الرعب عن الجن والشياطين.. كانت في عيني هباءً منثورًا.. لم أشغل عقلي؛ فلديّ ما هو أهم لأنشغل به.

حزمنا أغراضنا، وبعد أن وضعها زوجي بالسيارة، واستقل كل منا مقعده، شردت.. لطالما انتابني القلق قبل الانتقال إلى منزل جديد، لم أعِ إلا بأنامل زوجي تداعب أناملي فاستفقت من شرودي، التفت إليه لأجد ابتسامته اللطيفة تُهدئ من روعي.

- ماذا هناك؟!.

- لا شيء يا عزيزي.

اعتصر كفي بلطف ثم حدثني، ولازالت ابتسامته تستوطن وجهه:

- ستكون الأمور بخير، لا داع للقلق!.

بادلته الابتسام، ثم أسندت رأسي لأغط في نوم عميق، استيقظت على صوت فرامل السيارة، وصياح زوجي قائلاً:

"ها قد وصلنا!".

فتحت الباب ثم وطأت الأرض بقدمي، أفتش حولي بتمعن، منطقة نائية تكاد تخلو من السكان عدا بيتًا ملتصقًا ببيتي؛ يبدو أن أحدهم يسكنه، وآخر أمامه!، كان فارغًا يتدلى الظلام ملوحًا من شرفاته، الزجاج مهشم عدا شرفتين، المنزل تأكله الرطوبة من الخارج، انتزعت من أحشائه الحياة، لم أتمعن أكثر؛ فالمنزل لا روحَ تثير الفضول فيه.

جذبني زوجي:

- عزيزتي، ساعديني بحمل الأغراض.

حملت بعض الحقائب واتجهنا سويًا إلى الداخل، مبنى قديم مصمم من الداخل على الطراز الحديث، مكونٌ من طابقين، بدل الجميع ملابسهم وأنا جهزت العشاء، وما أن انتهى الجميع حتى دخل الأطفال إلى أسرَّتهم، وأنا بقيت بالأسفل؛ أغسل الأطباق، وأتعرف على أركان المنزل، وضعت الأطباق بالحوض، ثم هممت بالبدء في تنظيفها، فتحت الصنبور فأخرج مياه عكرة، ممزوجة بالصدأ والتراب، بدا أنها لم تُستخدم منذ زمن بعيد، خرج صوت الهواء من المواسير ثم انقطعت المياه.

التفتُّ يسارًا فوجدت مفتاحًا معلقًا على ماسورة معدن ذات قطاع صغير يغطيها الصدأ، وتمر بمحاذاة شباك المطبخ المطل على الشارع، "أهذا محبس المياه؟!" حدثت نفسي ثم اقتربت

منه، فجأة انقطع التيار الكهربي!.

- آه يا إلهي، أنا لا أعلم أيّ شيء بهذا المنزل.

ناديت زوجي فلم يُجبني، بدأت بالتفتيش عن مصدر للضوء؛ فتعثرت يدي بعلبة من الكبريت، أشعلت ثقابًا، أبحث حولي عن مصدر شبه دائم للضوء، مرت ثوان لأجد قبسًا من الهواء يمر على نار الثقاب فيُطفؤها، تأففت وألقيت بالعود المحترق على الأرض ثم أشعلت غيره، لم تكد ثوان تالية أن تمر حتى انطفأ!، كان الهواء المار على الثقاب وكأنه زفير أحد ما!، لم ألتفت.. ثم أشعلت غيره فانطفأ!، حينها ثار غضبي، فزوجي لطالما أحب المزاح.

- عزيزي! كف عن هذا!.

أخرجت عودًا جديدًا، أشعلته فلم ينطفئ، رفعت ناظري عنه أنظر إلى شباك المطبخ أمامي، انقبض قلبي، كان هناك أحدٌ ما!، أسود.. كله أسود، يقف أمام المنزل المهجور المباشر لمنزلي، التفت إليّ.. ثم بدأ بالاقتراب ببطء، قلبي يزداد نبضه.. تجمدت مكاني، أحاول الصراخ ولا أستطيع، يقترب ويقترب.. مرت النار على إصبعي فانطفأ الثقاب، أخرجت آخر من العلبة، أحاول إشعاله بسرعة، يداي.. يداي تخونني، أناملي تجمدت، أرجوكِ لا تخذليني الآن، أشعلت آخر.. أنظر أمامي، لا شيء.. لا شيء هناك!، اقتربت من النافذة أُدقق النظر، لا أحد بالشارع، هل جُنِنت؟!..

انطفأ الثقاب، اشعلت غيره، وأنا أتنفس الصعداء، ثم استدرت لأجده أمامي!، كان ظلًّا أسود مُغطى بعباءة سوداء من الرأس

حتى أخمص القدم، عيناه مشقوقتان، وفتحة فمه تمتد إلى محجريه، يسير على الأرض بلا خطوات، لا صوت لأقدامه، خرج منه أنينٌ، وكأن أحدًا يتألم، حاولت الهرب وقدماي لا تتحرك، حاولت الصراخ ولا صوت يخرج، يقترب وأنينه يزداد ويرتفع، وأنا أبكي ولا أحد يسمع، سقطت في الأرض فارتكز على صدري ثم بدأ بالصراخ، صراخ مخيف، صراخ مرعب.. خرج صوتي ولم أع بنفسي إلا وأنا بسريري وإلى جواري زوجي.

جلست على السرير أصرخ، حاول تهدئتي بضمي إليه، يحاول أن يفهم مني، وأنا لا أستطيع الكلام، الخوف والفزع كادا يوقفان قلبي.

- اهدئي اهدئي، مجرد كابوس.

- لا لا! ليس كابوسًا، كان هناك شيء ما بالأسفل.

- عزيزتي اهدئي، لقد فقدت وعيك فقط، هذا كابوس.

- صدقني، هناك شيء ما هاجمني عندما انقطع التيار.

- لم ينقطع التيار، اهدئي.. اهدئي!.

أخذ يمسح على شعري، وأنا انفطرت من البكاء، الأمر كان مفزعًا، لكني اقتنعت بكلماته، كان مجرد كابوس قوي! ربما بسبب المنزل، لقد انتقلت إليه توًا؛ فمن الطبيعي أن تهاجمني الكوابيس، جذبني إليه حتى هدأت وعدت إلى نومي بين ذراعيه، ومضت الليلة الأولى.

لم تكف الأحلام السيئة عن مطاردتي، حاصرتني الحكايات التي

سمعتها من سكان المنطقة الذين كاد وجودهم أن ينعدم، فالتردد ضعيف على السكن بها بسبب المنزل المهجور والأصوات التي أجزم البعض على سماعها في الليل تخرج منه.

حذرني بعض الجيران من بقائي، فمواجهتي له تجعلني أكثر عرضة لخطر الكيانات المجهولة داخله.

أغلقت أذناي، وحاولت أن أمارس حياتي بشكل طبيعي، لا أنكر أن الخوف كان يتسرب إليّ لدقائق، فأستعيذ بالله وأستعيد توازني، "لا شيء مقلق" هكذا كنت أحدث نفسي.

شاءت الأقدار أن ننتقل لبيت جديد، عمل زوجي رسم حياة أخرى.. حياة تتساقط بها أوراقي وتذبل زهوري.

فشقتي الجديدة تُطل على بيتٍ مكون من ثلاثة طوابق منزوعة الحياة، نوافذه بعضها مُتآكل ما إن أمعنت النظر حتى شعرت بأحدهم يراقبك من شقوقها، والبعض الآخر ليس له وجود، كان الظلام ينسدل من نوافذه، كوحوش يحجبها النهار عن الانقضاض على من يقترب، أحجار البناء قديمة أكلتها الرطوبة تميل إلى السواد.. ما إن رأيته حتى تسربت إلى رعشة بردت أطرافي، لا علم لي بضرورة وجود منزل مرعب بالقرب مني، وكأنهم يلاحقونني.

كانت الأمور هادئة في الأيام الأولى من انتقالنا، لم يحدث أي شيء غريب، خشيت النظر من شباك غرفتي، فهو يُطل على ذلك المنزل المرعب..

وذات ليلة.. حدث ما لم يكن في الحسبان!، فُتحت عليّ أبواب

الجحيم!.

جلس طفلاي أمام التلفاز يشاهدا إحدى برامج الرسوم المتحركة؛ بينما سمعت أذان العشاء فتوضأت لأصلي.

أعتدت الصلاة في غرفة مظلمة، أو ذات ضوء خافت بمفردي، حتى أستطيع الاندماج بها.

أغلقت باب غرفتي لأبدأ.. الغرفة يُطل شباكها على ذاك المنزل!.

كانت الغرفة مظلمة كليًا، ضوء الصالة يخترق زجاج بابها، فيظهر الأشياء داخلها بشيء من التشويش.

فرشت سجادتي على الأرض، وهممت بالصلاة..

انتهيت فسلمت يمينًا ويسارًا ثم نظرت أمامي.. رأيت ما لا يُصدق!، شيئًا لا يمكن تخيله، شيئًا قبض قلبي وحبس أنفاسي، جمَّد الدم في عروقي.. زاغت عيني فور رؤيته!.

كانت جثّة.. نعم جثة أمام سجادتي ملفوفة بكفنٍ، ووجهها فقط هو ما يظهر منها.. دبَّ الرعب بقلبي، تسرَّب البرد إلى جوارحي وروحي فأغمضت عينيّ أستعيذ بالله من الشيطان، أهمسُ لنفسي "هذه تهيؤات، هذا ليس له وجود".

فتحت عيناي أعيد الكرة لأتأكد من جديد علّها ذهبت.. علَّ سرابها رحل!.. وجدتها مكانها لم تتحرك، استجمعتُ شجاعتي، واقتربتُ منها وأطرافي كلها ترتَعد، ركَّزت في معالمها وهَرَبَ الدم من جسدي..

كانت جثةً لأحد المشايخ الذين كنت أشاهدهم بالتلفاز، لون جلدها أخضرٌ كعَفَن الخبز ممتلئ بالنتوءات والفجوات كمن أكله الدود للتوِّ؛ مظهرها مرعب، عيناها مفتوحتان مبيضتان وكأنهما تنظران إلي، يغزو الشيب شعر لحيتها ورأسها، حول عينيها سواد قاتم، نتوءات جلدها مثيرة للغثيان والرعب، كذبت عيناي لأقترب منها بإصبعي أحاول لمسها.

اقتربت منها فإذا ببناني يلمس جسد أحدهم!، شيء مادى لم يكن سرابًا أو طيف!.

جن جنوني.. أصرخ باحثة عن مقبض الباب بالغرفة، فتحتها وأنا لا أشعر بأي شيء، ما أن رآني أطفالي حتى ارتفعت صرخاتهم فزعًا.

وبين لحظة وأخرى من الرعب غزا شيب الخوف رأسي، اصفر وجهي، لم تنقطع صرخاتي.. أضرب رأسي بالحائط، أهشم وجهى بأظافري، صبغ قميصي بلون الدم الذي تساقط من وجهي، ثم سقطت في الأرض، ولم أشعر بنفسي إلا وقد دخل زوجي إلى المنزل..

نظر إلى وجهي في فزع.. يضم أطفالي يحاول تهدئتهم، أما أنا ظللت أبكي!!.. لم أعد أشعر سوى بالخوف، نظرة الرعب بعيني طفلي لم أنسها أبدًا، وكأنني أم أخرى غير التي كانت معهما منذ قليل.

اقترب زوجي منى، يتأمل وجهي في دهشةٍ ممزوجة بخوف، وكأنني كبرت عقودًا على عمرى..

حاولت رواية ما حدث.. لساني معقودٌ، تخرج الكلمات من فمي متـــرددة مشـتتة.. ظـلّ فتــرة حتــى اســتجمع بعثــرة حــروفي واستوعب ما أريد قوله.

أخبرته ما رأيته بداخل الغرفة، عن الجثة في الكفن مكشوفة الوجه ومظهرها.

لولا ما رآه على وجهي ما كان قد صدق، فتح باب الغرفة.. ينظر في أنحائها فلم يجد أي أثرا!

لا وجود لتلك الجثة، لا وجود للكفن.. الغرفة كما هي..

بعـد الحـادث انتقلنـا من ذاك المنزل.. لم أعـد كما كنت، أطفالي يخشون الاقتراب مني منذ يوم الحادث.

أمـا أنـا فلـم أتـرك شـيخًا إلا وذهبت إليـه، سـاءت حـالتي.. كدت أموت، مرت خمس سنوات على هذا الحال، حتى بدأت أستعيد نفسي..

الآن ذاك الرعب بات من الماضي، أما عني فلم أعد أنا، ما رأيته ومـررت بـه يشـيب لـه الوليـد، بـاتت الآن الأمـور بخـير علـى ما أعتقد.. لا أعاني الآن سوى من التوابع التي ترسَّخت في نفسي، لا زلت أخشى الإنتقال إلى أيّ بيت جديد، عليك الحذر أنت أيضًا، فليست كل الأبواب المغلقة تستر شيئًا معلومًا.

لعنة كتاب (٢)

شابٌّ تتسم حياته بالركود، يأكلها الروتين، أذهب إلى جامعتي صباحًا، ثم أعود للمنزل أتناول الغداء، أنام قليلاً حتى يسدل الليل أستاره فأتسكّع مع أخلائي..

تتابع أمواج الأيام.. موجةٌ تلو موجة، لا جديد في الحياة، فما نام عليه نُصبح عليه.. حتى أتى اليوم المشئوم الذى غيّر ضفتيْ حياتي!.

ذات يوم قابلت في طريقي أحد أرصفة الكتب، حيث يجلس بائع لا علم له بمحتواها.. فقط يبيعها لكسب الرزق.

وقفت أمامها أتأملها، أبحث بعيني بين أسمائها، فتشبثت بواحد من الكتب، ما أن رأيته حتى جذبني.. اسمه ينم عن محتوى غامض، كان لمشعوذ ما؛ لا داعى لذكر اسمه.

في الليلة الأولى من امتلاكي للكتاب لم أذهب للمنزل، فبعد أن اشتريته اتجهت إلى أحد المقاهي؛ حيث سأقضي السهرة مع بعض الأصدقاء، ألقيته أمامي دون اكتراث.

- ما هذا؟!.

- بعض التفاهات.

تعالت ضحكاتي، ثم أكملت الحديث عنه بازدراء، عدت إلى المنزل والإجهاد يقتلني، رميته داخل خزانتي وألقيت بنفسي على السرير.

فتحت عيني.. أحاول الحركة، شيء ما يجذبني.. تأملت السرير من حولي فوجدت حبالاً تجذب أطرافي.. رفعت وجهي فرأيتهم!.

مجموعة مسوخ مشوهين؛ أجسامهم كأجسام البشر يحملون رؤوسَ فئران وأذنابًا كالبقر، يجتمعون حول الكتاب الذي اشتريته، يتهامسون.. حاولت الصراخ حينها فالتفتوا إليّ.

استيقظت من نومي تتلاحق أنفاسي!.. قطرات العرق تشق طريقها على جبهتي، لم أضع في حسباني ما إذا كان للكتاب صلة بكابوس كهذا، ولكني استيقظت وأحمل داخلي بذرة فضول تجاه هذا الكتاب، تفحَّصته فور نهوضي من السرير، أبحث بين صفحاته بنهمٍ وأقرأ بتمعن..

طرقٌ لتحضير ملوك الجان، كلمات من القرآن، وأخرى بلغة غير مفهومة.. حلقات داخلها نجوم، وخطوات لطقوس تُمارس لتحضيرهم.. كنت أقرأ كل يوم بضع صفحات.

وكان ذلك أسوأ ما قد فكرت في فعله يومًا، فقد فتحت على نفسي نارًا تأبى ألا تنطفئ، انقلب منزلي رأسًا على عقب..

ففي خلال أيام استيقظت على صراخ أختي الصغيرة؛ تنظر إلى جانب من جوانب المنزل.

- انظر هناك، ذاك الرجل المخيف.

توجهت بناظري حيث أشارت.. لم أجد شيئًا!، تصرخ ويزداد بكاؤها.

- أنا خائفة.. له جسد إنسان ورأس فأر.

حاولت تهدئتها:

- عزيزتي، لا يوجد شيء هناك.. انظري.

اقتربتُ من المكان الذي أشارت إليه فارتفعت صرخاتها تتوسلني بألا أذهب، توقفت.. حرارة ما تخرج من هذا المكان!، هواء ساخن في ظهري وجنبي، وكأن مصدرًا ما كان حولي، ربطت ما وصفته أختي في خلال ثوانٍ بالكابوس، دبَّ الرعب في قلبي فتماسكت.. فلا أريد إخافتها أكثر.. ومن هنا بدأ الأمر في الانحدار.

مرضت أختي الصغرى.. لم تتوقف عن إخبارنا بالمسوخ التي تراها بالمنزل.. تقف بالقرب منا تنظر إلينا.. تخيفها بمظهرها المخيف.

حاولت أسرتي البحث عن طبيب أو شيخ لمعرفة السبب لذلك، وكل المحاولات هباءً باءت بالفشل..

رسم لي الشيطان طريقًا من السلطة، قررت أن أمارس ما قرأته رغم كل ما كان يحمله من كفر بالله..

حملت بضع لقيمات من الخبز، وأمسكت المصحف ودخلت حمام المنزل.. مزقت المصحف بالحمام وألقيته تحت قدمي ورميت اللقيمات بالأرض.. أتلو ما قرأته داخل الكتاب وأسبّ وألعن الذات الإلهية.. وحتى الآن لم أعرف كيف سوّلت لي نفسي ارتكاب هذا، وكأن الشيطان استحوذ تفكيري..

تدهورت الأمور أكثر فأكثر؛ في إحدى الليالي بعد الحادثة قررت المكوث في المنزل، جلست أمام التلفاز أتابع أحد البرامج فإذا

بشيء ما يخرج من الحمام، دنا مني.. شعرت بأنفاسه.. كنت أكذب شعوري لكنه اقترب أكثر وكأنه يؤكد وجوده.. ازدادت ضربات قلبي، لم يكن هناك أحد.. باب الحمام شبه مفتوح لا يظهر سوى الظلام، استجمعت شجاعتي لأنظر إليه.

كائنٌ مظلم، مر من خلفي في لمح البصر، لم أر منه سوى سواده.. ملأني الرعب.. انتفض جسدي؛ أحدث نفسي.

- ما هذا بحق الله!.

اقتصر الأمر في البداية علي أنا وأختي، ثم بدءوا في الظهور لأهلي، كانوا كثيرين.

شعرت أنى مراقب.. كيانات تخرج من غرفتي وتسكن حمام منزلنا، تمر حولنا.. تثير الزعر وما أن نلتفت لها لا نجدها..

فالرعب ليس في الضرر.. الرعب يكن في خطر لا تراه وتعلم كونه يراك جيدًا.

أصوات تخرج من الغرف، وخوف ملأ أرجاء المنزل.. حتى الحديقة لم تخل منهم!، ففي إحدى المرات وقفت في شرفة غرفتي المطلة عليها.. كان الوقت متأخرًا..

لمحت كيانات تتحرك بين الأشجار، وكأنها تعلم كم أن حركتها تصيب قلبي بالرعب، تظهر ثم تختفي، الكوابيس لم تنقطع، مسوخٌ أراها.. لم أعد أستطيع النوم؛ رعبٌ بالليل وبالنهار.

آذيت أسرتي ونفسي بما ارتكبته، قررت إنهاء كل هذا، أوقدت النار في الكتاب، أحرقته وتبت إلى الله عما فعلته، ومنذ ذاك

اليوم عاد الهدوء إلى منزلنا..

سكنت العاصفة، لم تعد أختي ترى المسوخ، ولم أعد أشعر أنا بأحد ما يراقبني والكوابيس اختفت، وأسرتي عاد لها الاستقرار.

لن أعود لقراءة مثل هذه الكتب أبدًا.. إن كنت تقرأ قصتي فخذ تحذيري على محمل الجد!.

إياك والدخول إلى ذاك العالم الأسود.. أنا استطعت العودة، ربما تعلق أنت ولا تستطيع!.

مجهولٌ في المنزل (٣)

يبدأ كل شيء عادي كأفلام الرعب التي نراها في التلفاز، ثم يتحول إلى ملحمة كبرى لها بطلٌ خائف.. تخرج الأمور من بين يديه عن السيطرة.

فبالأمس مراهقة عادية، واليوم خارقة، أو ربما مجنونة.. ستحددون أنتم بعد سماع حكايتي!.

فالرعب بات جزءًا من حياتي، بعد أن كنت أول الساخرين من الفتيات ضعاف القلوب..

أعيش بمنزل يتكون من ثلاثة طوابق، في كل طابق شقة أو شقتين، فالطابق الأول شقة جدي على مساحة شقتين، أما الثاني فشقتين.. إحداهما لنا والأخرى لعمي، أما الطابق الثالث عبارة عن شقة يعيش فيها أصغر أعمامي مع زوجته وابنته.

بدأ الرعب يجتاح بيتنا بعدما ترك عمي شقته بالطابق الثالث، فقد انتقل إلى منزل آخر منفصل، أغلقت الشقة من بعدها، ولم يعد يطؤها أحد.

بعد مرور ثلاثة أشهر تقريبًا، بدأت أمورًا غير طبيعية تحدث، كنت حينها في الصف الثاني الثانوي.

كلما دقت الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل، حيث يغط الجميع في نوم عميق، تبدأ أصواتًا ما تصدر من الشقة فوقنا، خطوات أقدام ترتدي نعلاً ما، تمشي في ثبات.. أستطيع تمييز ذلك بحاسة السمع!. كلما دققت السمع اختفى الصوت، فأقول

لنفسي أوهام.. وما أن أطمئن وأصرف أذناي حتى يعود من جديد، يزداد بشكل تدريجي.. في المرة الأولى بدأ هادئًا، وفي المرات التي تليها ازداد أكثر فأكثر، وكأن مجموعة أشخاص تمشي بالأعلى، لا أنكر أن الخوف تسرب إلىّ، لكني ضحكت سخرية من نفسي، فكيف لفتاة قوية مثلي أن تسلم لوساوس رأسها، نعم إنها أوهام وخيالات!.

ليلتها لم أستطع التركيز، أطفأت نور الغرفة ونمت، كنت على يقين بأني إن بقيت مستيقظة سيتمكن الخوف مني، وأنا لن أسمح بحدوث هذا!.

الليلة التالية جلست أدرس كعادتي، حتى أتى منتصف الليل، عاد الصوت بنفس الشكل من جديد، الخوف يتملكني لا أنكر ذلك، فلو كانت أوهامًا ما تكررت للمرة الثانية في وقت محدد على مدار يومين، لم بعد منتصف الليل؟!، لم عندما ينام الجميع؟!.

ليلة تمر تلو ليلة، وما أن يأتي منتصف الليل حتى يعود الرعب، فقررت أن أخبر أبي، قابل كلماتي بضحك، فمن كانت تسخر من غيرها بالأمس الآن تفعل مثلها!، بل ربما أكثر!.

لم أعد أستطيع الدراسة في الليل، طلبت من أبي فتح الشقة للتيقن مما فيها، تجاهل في بداية الأمر حتى ملّ إصراري!.

صعد للشقة فلحقت به رغم خوفي الشديد، أردت التأكد بأن لا شيء هناك، حاول فتح الباب لكنه لم يفتح، أعاد محاولاته مرارًا وتكرارًا، وكأن شيئًا ثقيلاً خلفه يعيق فتحه، دفع الباب بجسده ولا أمل، وكأن جبلاً يسد فتحته، أصبت بالرعب! فنظر إليّ أبي

والتعجب يملأ ملامحه.. أحس بوجود أمر مريب داخلها بالفعل!، شيء غير طبيعي!.

قرر حينها الكف عن محاولات فتحها، وأنا الأخرى بدأت تجاهل الأصوات، أو بمعنى أدق أتعايش معها.

مرت فترة بعد هذه الواقعة، نسيت فيها ما حدث وألفت الخوف، فلا بأس بجيران مجهولي الهوية.

جهزت ملابسي في إحدى المرات لأستعد للاستحمام، فتحت الماء، وبدأت في الغناء بصوت مرتفع، وضعت الصابون على وجهي.. أعرض جسدي للماء، فشعرت بأنفاس ما تقترب مني داخل الحمام!، أسرعت في إزالة الصابون فعلق بعيني!، فإذا بأصابع ما تلتف حول كتفي تضغط عليه بشدة!.. امتلأت رعبًا أحاول غسل مقلتي.. ما هذا الشيء!.. نظرت حولي لكن لا وجود لأي كان!..

أأنا أتخيل؟! أجننت؟!.

نظرت إلى كتفي.. علامات!، وكأن أحدًا ما قد ضغط عليه بالفعل، ارتديت ملابسي وخرجت مهرولة من الحمام أبكي، أرتعد والخوف يشل أطرافي، رأتني أمي بهذه الحالة فحاولت تهدئتي، ضمتني إليها حتى هدأت؛ فبدأت بالاستفسار عما حدث.

كشفت لها عن ذراعي، تحول اللون الأحمر إلى أزرق بطول ذراعي، علامات وكأنها لبنان كيان ما!، نحيلة وطويلة لا يمكن أن تخص بشر.

بدا على أمي حينها الفزع.. تخفيه بكلمات، لم ترد إشعاري بذلك، بعد الحادث عرضتني على أحد الشيوخ.

بقيت بعدها لأسبوع أخشى المرور من أمام الحمام أو وُلُوجه، فكل ما كان يملأ رأسي حينها أن هذا الشيء ينتظرني بالداخل، أنظـر إلـى العلامـات الزرقـاء علـى كتفـي فـأزداد خـوفًا وتزيـد تساؤلاتي.

دخل عمي على أبي يحدثه بنيته في الانتقال إلى بيت آخر، مر وقت ليس بالكثير ثم فرغت الشقة المقابلة لشقتنا، حقيقة بدأت هي الأخرى تثير في نفسي الخوف، على ما يبدو أصابني فوبيا من الأماكن الفارغة المغلقة.

وكشبيهتها في الأعلى لم يعد يدخلها الشمس أو يطأها بشر..

مـرت الأيـام لتـأتي مناسـبة عائليـة، زفـاف إحـدى قريبـاتي.. جاء الكثيرون إلينا، أقاربنا وجيراننا، تم تجهيز الخبز وعمل الكثير من الطعام.. فتحـت أمي شقة عمي المجاورة لنا.. تحتاجها لحفظ بعض الأشياء بها.

وضـعت طبـق الخـبز بـداخل عتبـة البـاب.. ثم نزلت إلى الطابق الأرضي حيث الجميع، نفد الخبز فصعدت إلى الطابق الثاني لجلب البعض منه، جذبت الطبق من الأرض فإذا بشيء ما من داخل الشقة المظلمة يجذبه منها.

"ربما علق بالداخل!"

أعادت جذبه والكيان المجهول يجذبه منها إلى الداخل، كان قويًّ

جدًا!.

هـرعت أمـي خائفـة تبكـي، حـاول حينـها أبـي تـهدئتها، وبـاءت المحـاولات بالفشـل، أطرافـها بـاردة، ولا تسـتطيع تمالك نفسها، طلب منها أن تصعد معه.. أطمأنت لأنه بجوارها فإذا بهما يجدا طبق الخبز خارج الشقة وبابها مغلق!.

لم يكن هناك مخلوق بهذا الطابق، من كان يجذبه إلى الداخل؟!، من وضعه بالخارج، وأغلق باب الشقة؟!.

أقسمت أمي أنها لم تغلقه، أنها لم تخرج الطبق من الشقة من الأساس، أن شيئًا ما غريبٌ بهذا المنزل.

منذ ذاك اليوم وصرح أبي بتجهيزه منزلاً بعيدًا عن هنا سننتقل إليــه، لا زلنــا بــهذه الشــقة المرعبـة التـي يجـاورها مـن الأعلـى وبـالجانب شـيء مجهول لا نـدري مـاذا يكون! لم ننه إجراءات انتقالنا بعد.

أنا أرتعد بينما أكتب قصتي، فلا زلت أقبع بذاك المكان المرعب، ولا أدري مــا إذا كــان أحــدهم يــراني الآن، ويتوعــدني الأذى بالحديث عنهم!، ولا علم لدي بما سيحدث لنا أيضًا قبل مغادرتنا هذا المكان!.

شبح المرآة (٤)

بيتٌ جميل، أطفال رائعون، والدان ليس لهما مثيل.. أسرة مثالية!، هكذا كان يرانا الناس.

لم يسكن كل شيء قبل العاصفة؟!، وكأن الهدوء نذيرٌ للمصائب.. بشارة باندلاع حرب لا سبيل لإيقافها.

لم أكمل الرابعة عشر بعد؛ أعيش مع أخوتي؛ ثلاثة أولاد وفتاة، أنا أكبرهم.

بداية المعضلة كانت عمتي.. امرأة طبيعية منذ ولادتها.. ولكن تحول كل شيء، انقلبت الأمور رأسًا على عقب، فالخوف تملكها دون أسباب واضحة، كانت تدعي رؤية أشياء مخيفة لا نراها، توقفت حياتها، أولادها بدءوا في الخوف والهرب منها.. ولا تفسير لكل هذا.

كنت بعيدة أنا وإخوتي عن هذه الأمور، فلازلت في نظر أهلي طفلة.. طفلة صغيرة خائفة، لا يريدون تعريضي لمثل هذه الأحداث الخارقة عن العادة.

أخذوها لشيخ يعالج بالقرآن، حدثنا كونها ألقت بماء ساخن في الحمام على إثره أُصيبت بمس شيطاني، وبعد عدة جلسات عادت امرأة طبيعية، لم يعد هناك ما يخيفها أو يوقف حياتها.

علاج عمتي كان البداية لأمور مريبة!، شيء أصاب منزلنا.. أصابني، أصاب إخوتي..

ذات يوم جلست بينهم أتناول الطعام، فإذا بأنفاسي تتوقف وكأن شيئًا ما يضغط على قلبي، سقطت على الأرض فاقدة الوعي، حملني أبي إلى أقرب مشفى، طلب الطبيب عمل رسم قلب، فأسرع أهلي إلى إجرائه.

الغريب في الأمر أنه أثبت أن قلبي سليم مائة بالمائة، لم يكن هناك أي شيء!، الحيرة اعترت أهلي.. يتساءلون عن سبب ما يحدث لي، فالأمر بدا غريبًا حقًّا!.

ظل الأمر يتكرر يوميًا، ذهبنا لأطباء عدة، ورسم القلب سليم في كل مرة، لم يتوقف الأمر عند ذلك، فتطرقت الأمور لتصيب من حولي ببعض ما أصابني..

الوقت متأخر، نمت من التعب دون وعي.. أضأت السهارة حيث تصدر ضوءًا خافتًا.. أخشى النوم في الظلام، دخل أخي الصغير الذى لم يتخطى حاجز العشر سنوات.. يبدل ملابسه، المرآة مواجهة لسريري!.

ارتدى بنطاله فإذا بشيء ما يراه في المرآة، شيء جعل حدقتا عينيه تتسعا، وحبس أنفاسه، كانت فتاة ما تنظر إليه من المرآة! شعرها أسود يقترب من كتفيها مقلوب على وجهها، يخفيه فلا يبدو منه أي ملامح، ملابسها ممزقة، ترتدى قميصًا ما وبنطالاً مرفوعةٌ إحدى قدميه، ساقها سوداء بشكل مرعب، وجلدها متفحم كأنما قد حرقت للتو، تقف داخل المرآة فتنعكس صورتها بالاتجاه المقابل له.

طفل في عمره لا يملك من الإدراك ما يجعله يتماسك، كاد يموت

رعبًا وكل ما فعله أن انهال عليّ ضربًا وأنا نائمة ظنًا منه أني من قلبت شعري وحاولت تخويفه!.

كنت نائمة أقسمت له، لم أكن أنا.. لا أعرف من هذه التي رآها، دبَّ الرعب بقلب أمي وإخوتي بعد هذه الحادثة، كنا نخاف النوم بالشقة، نخاف النظر بأي مرآة فيظهر لنا ذاك الشيء.. أحلك أيام حياتي وحياة أهلي.

استعان أبي بشيخٍ لعلاجي، عُرضت على كثيرين ولم يتغير أي شيء.. أنا كما أنا؛ نفسي يضيق، وقلبي يكاد يتوقف، وكلما تعرضت لأحد المعالجين، ازدادت الأعراض عليّ حتى شارفت على الموت..

علم أحد أصدقاء أبي بالأمر، فأتى بأحدهم ممن يعملون بذاك المجال، كل ما كان يتملك تفكير أبي أن يجعل هذه الأشياء ترحل عني، فلا علم يمتلكه بشأن الرجل.. أكان قرآني أم ممن يتعاملون مع الجن.

جلست أمامه، ولا أعلم ماذا أصابني!، وكأنني دخلت في غيبوبةٍ ما.. فُصلت عن العالم.. لا أتذكر شيئًا.. لكنهم أخبروني بما حدث!..

بدأ الشيخ بتلاوة بعض الآيات عليّ.. ثم طلب منه التحدث.. أقسم عليه باسم الله أن يتحدث وإلا حرقه..

أجاب على لساني "لن أرحل عنها، سأحرقها قبل خروجي، سأقتلها، سأحرق عائلتها"..

سأله الشيخ أن يخرج وإلا حرقه.. تعالت ضحكات ذاك الكائن

على لساني يصرخ به "لن أخرج ".

تلا عليه بعض الآيات فازدادت تهديداته وصرخاته..

-كيف دخلت إليها؟!..

سأله لم يجب!.. تلا عليه بعض الآيات فاستسلم.

-"انتقلت من عمتها إليها، قررت إيذائها انتقامًا من عمتها وأسرتها، قررت إيذاء أسرتها، سأقتلها.. سأحرقها.. سآخذها تحت الأرض"..

يسأله الشيخ أن يخرج وإلا تلا عليه آيات الحرق.. يرتل الآيات، وذاك تتعالى صرخاته، فيتوقف الشيخ ويطلب منه الخروج.. يعود لتهديداته.. فبكي أبي.. خاف أن يتحقق ما قاله..

تلا الشيخ آيات الحرق.. فصمت الكائن.. رحل إلى الأبد.

فتحت عيناي لأجد أبي يبكي.. سألني:

-"أشعرتِ بما حدث؟!"

لم أفهم ما يقصده.. لم أسمع أي شيء مما قد حُكي لي فيما بعد، لم أصدق كون كائن ما داخل جسدي وتحدث بلساني!.

طلب الشيخ أن أواظب على الأذكار، ولا أقطع في صلواتي.

احتجنا لفترة طويلة حتى استعدنا الأمان بمنزلنا، عدت كما كنت؛ فأنفاسي انتظمت، وقلبي عاد طبيعيًا..

حتى الآن ليس هناك مستجدات، عاد كل شيء كما كان عليه تقريبًا، اختفى ذاك الشيء من يومها، وذلك شيء مطمئن.. لكني

لا زلت أخشاه.. أخاف ظهوره مرة أخرى، وكلماته لازال أثرها على نفس أبي قويًا:

"سأقتلها، سأحرقها، سآخذها تحت الأرض"

ها أنا أعيش ولا جديد حتى الآن.

جنيّ الأحد (٥)

أسمعت يومًا عن جنٍّ يسكن بنهر النيل؟!.. يخطف الأطفال ويغرقهم، يمسّ النساء.. والإناث منهم يعشقن رجالاً من بني آدم يغويهن ويُسحرهن؟!.

إذا كنت لا تعرف.. عليك قراءة القصة والتمعُّن في أحداثها جيدًا.. هي لفتاة ما!.. تعيش بيننا، لربما مرت بجوارك يومًا.. ربما حادثتك.. اقرأ ما تمليه عليك جيدًا، وكن حذرًا..

أنا فتاة جامعية؛ والدى يعمل صيادًا، سمعت الكثير من القصص عن النهر والبحر والجنيات.. لا أنكر أني كنت أُصدقها.. فوالدي أغلب وقته في النهر، هو أعلم بما يُحيطه هناك مني، كان يروي لي ما قد يراه هناك.. أشباحٌ لأناس ما تحت الماء، تظهر فجأة ثم تختفي.. أشياء ما تناديك ولا تعرف أين هي، حيوانات رائعة الجمال تمشي على حافة النهر في الليل، تنظر إليك من بعيد.. تأتي من المجهول، ثم تختفى فيه..

لا تعلم من أين تأتي، ولا أين تذهب.. لو حاولت مطاردتها لما وجدتها، أخبرني عن ذاك الرجل الذى وجد مجموعة من الأرانب تقفز على مركبه، بياضها ناصع.. عيناهم رائعة، من إعجابه بهم وضعهم في عباءته.. ثم عاد ينظر فلم يجدهم!.. وكأنهم مكعب ثلج وذاب!.

لو قرأت كلماتي لظننتني أهذي الآن.. أو أؤمن بخرافات ومجهول، لكن إليك الآن ما رأيته بأم عينيّ!.. أنا أسكن بالقرب من النيل.

ذات يومٍ سمعت صوت أناس بالخارج يصرخون.. علمت أن هناك شيء ما، وكأن أحدهم قد غرق في النهر.. نزل الغواصون يبحثون عن جثة طفل، غرق في ظروف مجهولة، أعادوا البحث مرات ومرات ولم يجدوه.. حتى عثروا عليه طافيًا في مكان بحثوا فيه قبلاً أكثر من مرة!.

خرجت جثة الطفل زرقاء.. عليها آثار ضرب على وجهه وعلى جسده.. علامات لأصابع طويلة تشبه السَّوْط!، وجهه مليء بالندوب وكأنه هشم بأظافر ما.. تملَّك الرعب كل ذرة من جسدي، وقفت أرتعش ما إن رأيت مظهر جثته.. لم أستطع النوم، أفكر في ما حدث له، أحقًا هذه الرواية؟! ذاك الشيء المجهول في النهر هو من قتله؟!.

مرت أيامٌ، وكلما مررت بجانب النهر تملكني الرعب، أنظر يمينًا ويسارًا، أشعر أن شيئًا ما سيخرج لي.. كرهت الاقتراب منه.. حتى نسيت مع مرور الوقت..

تملكني الضيق في يوم أحد، فقررت أن أقوم بنزهة في النهر!.

ركبت المركب وقمت بالتجديف، كنت بمفردي يومها لكني لم أنسَ ما رأيته أبدًا..

أمسكت مجدافَ المركب أُحاول العودة فاصطدم بشيء ما، أمعنتُ النظر.. تملكني الرعب، رأيت هيئةً تبدو كهيئة البشر ولكن بشكل أكبر مرعب مختلف.. كالطيف تحت الماء.. جدفت سريعًا لأصل إلى طرف النهر.. شعرت بالخوف، لا أدري ما هذا!.. تذكرت ذاك الصغير الذي غرق، والآثار على جسده، تذكرت الحكايات

التي سمعتها من أبي وأهلي.. عُدت إلى المنزل وجسدي ينتفض من الرعب، أسأل نفسى "ماذا لو كان ذاك الشيء الذى قتل الطفل؟!، ربما أصبته!"..

أغلقت باب غرفتي وحاولت النوم.. أهدئ من روع نفسي لعلني أنام!، فتحت عيني على كيان يظهر لي داخل غرفتي.

شبح لا يُرى منه سوى سواده.. يسير على الحائط ثم ينتقل للسقف، يدور حولي يقترب مني حاولت الصراخ ولم أستطع وكأن شيئًا ما قد قيدني، حاولت الوقوف من مكاني لم أقدر.. أبكي وفقط، الخوف عقد لساني، أستعيذ ولا يخرج أي صوت، تحول الشبح الأسود لقط يقترب من سريري، قط أسود تلمع عيناه يكشر عن أنيابه.. وكأني أفقد الإتصال بالواقع، شبه فقدت الوعي..

كائن بشع الشكل، أسود الهيئة ينظر إليّ بعينيه المرعبتين، يقف على صدري وبطني، يغرس أظافره في لحمي، لا أستطيع التنفس.. أحاول الصراخ وصوتي مكتوم..

دخلت عليَّ أمي بعد أن سمعت صوت أنيني، دفعتني بقوة فاستيقظت، التقطتّ أنفاسي كغريقٍ انتشلوه، أبكي بشدة.. أحاول الاستيعاب!، ما ذاك الشيء الذى كان بغرفتي أمس؟!..

ما هذا الذى دخل بأحلامي يحاول قتلي.. أروي لأمي ما رأيت، وهى تستعيذ بالله، وتُهدئ من روعي.. أنتفض أثناء الحديث.. كشفت عن الأماكن التي كان يقف عليها بأظافره.. مجروحة!، خائفة من أن أراه مرة أخرى.. تمنيت أن يكون مجرد كابوس،

بعض التهيؤات لا أكثر.. مر يوم الاثنين في سلام، وتبعه الأربعاء.. بدأت أهدأ..

كابوسٌ ورحل.. تبعاته لا زالت تؤثر على نفسى.. حتى أتى الأحد من جديد!.

استيقظت.. دخلت الحمام، أغلقت الباب، سمعت صوتًا ما يشبه الهمس، أنفاسًا تقترب من أذني، تسارعت دقات قلبي، بردت أطرافي.. بدأ الرعب يتسرب إلى نفسي.. هواء ساخن يمر بالقرب من رقبتي وظهري.. أحدهم حولي، خرجت من الحمام في هدوء.. الرعب كاد يشلّ أطرافي..

ماذا يحدث لي؟!.. وقفت أمام المرآة في غرفتي فلمحت شيئًا ما لم أستطع تحديده، نظر إليّ ثم مر من خلفي، كالشبح!..شعرت بهواء ساخن في مروره واختفى في لمح البصر.

أتى وقت النوم، طلبت من ابنة خالي أن تنام بجواري.. وافقت فأغلقت الباب، كنت أقول لنفسي "لن يأتي فهناك أحدهم بجواري"، هيهات!..

ما أن أخفضت ضوء الغرفة لنستطيع النوم حتى ظهر من جديد، وكأنى قد قُيدت بحديد، لا يُسمع مني سوى أنين، فمي لا أستطيع فتحه.. ودموعي تسقط من عيني، شعرت ابنة خالي بي؛ فدبّ الرعب بقلبها، لم تستطع فعل أي شيء، تحول الشبح لقطة سوداء تقترب من سريري مجددًا.. ثم دخلت في حالة اللا وعي.

راودني حلم عن أحدهم؛ رجلٌ بشعٌ له عين بيضاء والأخرى ليس لها وجود، بقدم ونصف يسند على عصا، يجري خلفي وقدماي

مقيدتين، كلما حاولت الهرب أسقط على الأرض فتجرح ركبتي، يلحق بي ولا أستطيع الحراك، أشعر بالرعب يدب بأطرافي، أحاول الجري وحركتي بطيئة، الشوارع فارغة، أستغيث ولا أحد هنا لنجدتي، كاد يمسك بي، أيقظتني ابنة خالي في هلع بعد أن سمعت تحشرج أنفاسي.. بكيت حتى انفطر قلبي من البكاء.

بعد هذه الليلة رفضت النوم بجواري، أخبرتني أنها سمعت شيئًا ما بالغرفة أرعبها، خشيت التحرك بسببه، كانت تسمع أنيني طوال الليل، ولم تستطع حتى الخروج من الغرفة، ظلت ثابتة مكانها من الخوف حتى سطعت الشمس فأيقظتني.

تفحصت ركبتي فاكتشفت خدوشًا وكدمات زرقاء، ازداد بكائي، أشعر أني مُحاصرة.

رويت لأمي ما حدث.. ظللت على هذا الحال، تسير الأمور بمنتهى الهدوء حتى يأتي يوم الأحد فتعاد الكرّة..

لم يوم الأحد؟!، إلى متى سأعيش في هذا الرعب!.. ما بين الأحد والأحد انتظار كالموت، والأحد كل الموت، أعيش رعبًا قاتلاً بمفردي، لم يستطع أحد من أسرتي مساعدتي، تعبت من الذهاب إلى المعالجين ولا جديد، لا أدري ماذا سيُفعل بي الأحد القادم.. أي رعبٍ يدبره.. ندمتُ على اليوم الذى قررت فيه النزول إلى النهر.. يا ليت ما ذهبت، لازلت أتساءل:

"متى سيأتي الأحد دون خوف يقتلني؟!

متى سيأتي ذاك اليوم وأنا فيه بخيرا!".

السكن الملعون (٦)

بَردٌ قارس.. ظلمةٌ حالكة، أنفاسٌ تتنقل حولنا، أضواءٌ تنطفئ وأخرى تضيء، والسبب مجهول!..

كنا أربع فتيات، صديقات منذ أن كنا في المرحلة الثانوية.. انتقلنا سويًا بعد انتهاء الأجازة الصيفية للجامعة.. نظرًا للمسافة البعيدة بين منازلنا وجامعتنا فكل منا في محافظة مختلفة.. اضطررنا للسكن في بيت مغتربات قريب من الجامعة، تسكن فيه الطالبات من محافظات أخرى..

امتلأت الأماكن فاضطررنا إلى الانقسام في بيتين قريبين من بعضهما، اثنتين منا في أحدهما، والأخيرتان في آخر.. كنا نتقابل في الجامعة كل صباح، وفي المساء كلٌّ يذهب إلى سكنه.

سكني مكون من طابقين، غرفتي أتقاسمها مع صديقتي.. وفتاتين تعرفنا عليهما حين قدمنا هنا..

دخل الليل، وكلٌّ منا دخلت إلى سريرها، أطفأنا النور حتى نستطيع النوم، فإذا بي أسمع شيئًا ما، خطوات لأحدهم وكأنه يرتدي القبقاب، الصوت من بعيد، ثم بدأ يقترب من الغرفة، دبَّ الرعب في قلبي، أمعنت السمع فإذا بالصوت يعلوا.. ودقات قلبي تعلوا معه، شعرت بالخوف الشديد، أنفاسي كادت تتوقف.. استجمعت شجاعتي، وناديت صديقتي في السرير المقابل علّها تكون مستيقظة فأجابتني، صمت الصوت!..

-أسمعتِ ذاك الصوت؟!

-لم أسمع شيئًا، كفاك تهيؤات، نامي.

أمعنت السمع، لا شيء.. ربما أتخيل!.

حاولت النوم فإذا بأنفاس ما تقترب من أذني.. أشعر بأحدهم على سريري، طلبت منهم إضاءة النور وأنا أصرخ.

قامت إحدى شريكاتي في الغرفة بإضاءة نورها وهي تتأفف.

-ما بك؟!..

أقسمت أني سمعت أنفاس أحدهم تقترب من أذني على السرير فلم يصدقوني، ضحكت إحداهن مازحة:

-التفي بالغطاء جيدًا!.

خرجت من الغرفة تفرك عينيها، في طريقها إلى الحمام، تتهادى في الطرقة.. مرت دقائق فإذا بنا نسمع صراخًا وبكاءً، هرولنا إليها، ما أن لحقنا بها حتى سقطت على الأرض، وكأن الصدمة أفقدتها القدرة على الحركة!.

حملتها أنا وصديقتاي وأدخلناها الغرفة.. فقدانها الوعي غطى على الخوف داخل قلبي، فذهبت إحدانا للمطبخ تحضر لها شيئًا تشربه، حاولت تهدئتها على أن أفهم منها ما حدث، استمرت في البكاء، فكانت الكلمات تخرج منها متقطعة، وأنا أحاول فهم ما تريد قوله.. لم أفهم أي شيء، طلبنا من المشرفة الاتصال بأهلها، حتى يحضروا لأخذها..

بالفعل اتصلت بهم، وبقينا بجوارها حتى الصباح دون أن نعرف

ما حدث، ما رأته كان مجهولاً بالنسبة لنا؛ فهي لم تتحدث عنه.

شعرنا بالشفقة ناحيتها، أتى الصباح وحضر والداها..عادت إلى منزلها، لم نذهب للمحاضرات يومها، فلم يغمض لنا جفنًا ليلتها.

ولجـت إلـى غرفـة بـالبيت مخصـصة لمشـاهدة التلفـاز، فتحتـه لمتابعة أي فيلم للتسلية.. فإذا بواحدة من الفتيات اللائي يسكنّ معنا، ولكن أكبر بسنة تلحق بي، جلست إلى جواري.. ثم استدارت إليّ تسألني..

-ماذا حدث لصديقتك؟

-لا أعرف، وجدناها تبكي وتصرخ ثم فقدت الوعي.

ابتسمت في سخرية ثم حدثتني:

-ربما قد رأته!..

-من؟!.

سألتها بفضول، بدا وكأنها تعلم شيء ما لا نعلمه..

-ذاك الشـيء الذى يظهر في طرقات السكن بالليل، أنا هنا منذ سنة.. شاهدته أكثر من مرة، ورأيت أشياء قد لا تصدقينها..

-ماذا؟!..

صرخت في وجهها، فقد أفزعني ما قالته، ما هذا الذي تقوله؟!.. أيعنـى ذلـك أن مـا سـمعته بـالأمس كـان صـحيحًا؟!.. دبَّ الرعب بأطرافي، أنظر يمينًا ويسارًا، سألتها في ترقب..

-إذا كنت تعلمين بوجود شيء كهذا.. ما الذى أبقاكِ بهذا المكان؟!..

-لا أعلم.. ربما فضول، تحدي.. خفت في بداية الأمر، لكن الهمسات التي كنت أسمعها جعلتني أبقى.

-همسات؟!، بماذا كانوا يهمسون لك؟!.

-اذهبي من هنا، سنؤذيكِ، سنقتلك..

ثم استطردت:

-هذا المكان من الأساس كان جمعية حكومية، تم إغلاقه أربع سنوات، في خلالها لم يدخله أحد، في هذه الفترة كان سكان العمارات المحيطين بالسكن يسمعون أصواتًا غريبة في الليل.

ذهبت بعدما أخبرتني هذه الكلمات، وهرب الدم من جسدي، شردت للدجة التي لم أسمع بها صوت التلفاز..

مرّ بعض الوقت، سمعت طرقًا على باب الغرفة، التفت فلم أجد أحدًا، سرق انتباهي انقطاع التلفاز، وكأن أحدهم سحب مقبسه!، لا أحد غيري في الغرفة..

ذهبت ناحية التلفاز أتأمل مكان المقبس على بعد خطوات منه، اقتربت في حذر.. لا شيء!.

-ربما المقبس لم يثبت جيدًا..

انحنيت لالتقاطه، ووضعته في مكانه، ثم عدت للجلوس أمام التلفاز، فدخلت إحدى شريكاتي بالغرفة، ثم جلست تشاهد التلفاز معي.

لم أحدثها بما أخبرتني به هذه الفتاة حتى لا تخاف هي الأخرى، شاهدنا أحد الأفلام سويًا، فانطفأ التلفاز للمرة الثانية، كيف؟!.. أنا قد ثبته جيدًا.

وجود صديقتي إلى جواري بعث القليل من الأمان بقلبي، ثبتّ المقبس في مكانه، أثناء نهوضي وقفت أتأمل النافذة.. نظرت في انعكاس زجاجها لصورتي، لمحت أحدهم خلفي!، طفل صغير ينظر إليّ، التفت خلفي والرعب قد جمد أطرافي، لا أحد!.

-أرأيت أي أطفال هنا؟!.

-لا أحد هنا غيرنا.

ربما أتخيل!، لا ليست تخيلات.. إن كنت أتخيل فماذا عما تحدثت به الفتاة إليّ، لماذا يبدأ العام الدراسي والمكان ممتلئ ثم تبدأ الفتيات بالانسحاب واحدة تلو الأخرى!.. كاد السكن يفرغ من ساكنيه!.. أسئلة كثيرة تدور في عقلي.

حاولت الاتصال بزميلتنا التي عادت مع والديها.. ردت علي بصوت مرتعش:

-غادروا من هناك بسرعة..

ازددت رعبًا، عدت للسؤال وأنا على يقين بالإجابة:

-ماذا حدث؟

أجابتني بصوت شبه مسموع:

-في الليل عندما خرجت من الغرفة.. إضاءة الطرقة لم تكن واضحة بما فيه الكفاية، لمحت شيئًا ما بالقرب من النافذة المقابلة للمرحاض، لكنه لم يكن بشرًا!، هيئة سوداء.. ظل أسود طويل على هيئة مجسمة، لا يظهر منه شيء، استدار إليّ عندما رآني، كنت أعلم أنه ينظر إليّ.. ربما من عينيه التي لا تعلم ما إذا كانت عينين أم لا!.

نظر إليّ ثم اختفى، انسحب للحمام، تجمدت مكاني.. لم أستطع الحراك.. ما كان بوسعي سوى الصراخ.

أنهيت المكالمة معها ويداي ترتعشان، ماذا عليّ أن أفعل.. أأترك السكن الآن؟!، وصديقاتي؟!.. سأرحل من هنا صباحًا أنا وهنّ.

جنّ علينا الليل وأنا صامتة وكلي رعب، لم أخبر أيًّا من الفتيات بما علمت لئلا يصيبهم ما أصابني، حتى.. بدأت الحركة التي سمعتها بالأمس.

صوت الأقدام في الطرقة أمام الغرفة بدأ بالاقتراب.. الأنفاس بجوار أذني، سمعت أنين أحد شريكاتي في الغرفة، استجمعت شجاعتي وأضأت نور الغرفة.. اقتربت منها أوقظها.

وجدتها تبكي بكاءً شديدًا، وكأن الخوف تملك كل ذراتها.

-ماذا هناك؟!.

تحدثت في تلعثم:

- أحدهم همس في أذني أن نرحل من هنا، وإلا أحرقنا جميعًا..

انقطع التيار.. شباك الغرفة يظهر منه نور الشارع، لم نحن؟!.

بدأنا نشعر بصوت أنفاس حولنا.. ووقع أقدام يأتي من بعيد، ملأنا الرعب، بدأت هذه الهمسات تعود.. تطلب منا أن نرحل من هنا.. الرعب انتشر، وجمد أطرافنا.. جلسنا بالقرب من بعضنا.

عادت الكهرباء بعد وهلة.. انتظرنا الصباح بلهفة.

رحلنا من هذا المكان، لم نعد إليه منذ ذلك الحين، عدت إلى البيت، أحكي لأهلي عما شاهدته هناك.. عن وقع الأقدام والأشباح، عن صديقتي وما رأته.. عن هذه الفتاة التي أخبرتني بما عاشته.

منذ ذلك الوقت لم أسكن في أي بيت مغتربات لا أنا ولا صديقاتي.. نذهب ونعود بنفس اليوم بعد انتهاء المحاضرات.

إذا كنت تنوين السكن في أحد بيوت المغتربات، عليكِ إعادة النظر.. ربما هناك ما ينتظرك!.

الساكن السفلى (٧)

من المجهول يخرجون، يستولون على حياتك، يلعنون روحك.. يـأكلون قلبـك، يسببون الأذى لأطفالك، البعض يظن أنه يعيش بمفرده، لا أحد بالجوار.. عليك أن تفكر مليًا في الأمر، إنهم حولك الآن..

لعل أحدهم يشاهد ما تقرأه هذه اللحظة، لن يؤذوك فأنت لهم كائنٌ أليفٌ ما دمت لا تتدخل في عالمهم..

لكن.. في بعض الأحيان يظهر هؤلاء، قبيل آخر، يؤكدون أنهم بالقرب، عليك الحذر منهم، فلا تكن مسرورًا برؤيتهم.. فهم ليسوا مسرورين!.

أنا امرأة متزوجة منذ أربع سنوات، أعيش أنا وطفلي وزوجي في دولة أخرى غير دولتنا نظرًا لظروف عمله..

بدأت حكايتي بعد عقد قراني من زوجي مباشرة، حيث توفيت والدته.. فبعد دفنها لم نستطع العيش في المنزل، على حد قوله كل جدرانه تذكره بها، نظرًا لكونه ابنها الوحيد..

المنزل مكونٌ من أربعة طوابق، أغلقناه وسافرنا.. وعند عودتنا استأجر زوجي شقة في الخارج، حتى يتم ترتيب منزل والدته فنستطيع الانتقال إليه، المنزل غطاه التراب؛ يحتاج وقت لإعادة تنظيفه وإصلاح ما تلف منه.

ذهبت إلى المنزل بمفردي لفتحه، انتابتني قشعريرة لم أكن أدري سببها فور رؤيتي له من الخارج..

الجو هادئ، ظلام يحيط بالمنزل يبعث فيك الرعب، شعرت وكأن هناك أحد بالداخل.. قلبي يحدثني بالمغادرة، لكني فتحت المنزل ودخلت!..

له بوابةٌ حديدية من الخارج، به حديقة صغيرة.. تحتاج للعناية، فبعض الأشجار تحتاج إلى تهذيب، أتأمل كل ركن فيها لأتيقن من حجم الأعمال التي يحتاجها المكان، وكأن أحدهم يراقبني.. لم أضع أي اهتمام، فكلما التفتُّ لا أجد شيئًا، هي رهبة المكان، فالمنزل مغلق منذ أربع سنوات، ومن الطبيعي أن أشعر بذلك!.

الطابق الأول من المنزل له باب خشبي عملاق، أدرت مفتاحه به ودخلت المنزل.. لا توجد إضاءة، أردت فتح الشبابيك، فالثقوب يخترقها شعاع الشمس فتنير أجزاء من الصالة، أدوس الأرض في حذر فيتهشم تحت نعلي الحصا، استوقفني مشهد جمد الدم في عروقي، لعلي أتخيل.. حاولت التجاهل، ربما السبب في ذلك الظلام، بدأ الأمر في الوضوح أكثر، إنها امرأة!.. علمت ذلك من شعرها الذى يصل للأرض رغم أني لا أرى ملامحها!..

تجلس على كرسيّ خشبيّ بمنتصف صالة المنزل.. هادئة تمامًا، ما أرعبني أكثر من هيئتها الغريبة، الأسئلة التي كانت تقفز إلى عقلي، من هذه، وكيف دخلت إلى هنا؟!..

لم أستطع الاقتراب خطوة واحدة.. تعالت أنفاسي وبدأت أسمع صوت دقات قلبي، أطرافي تجمدت، أمعنت النظر لأعرف من تكون، فقطعت محاولاتي بحديثها:

-ماذا أتى بكِ إلى هنا؟..

أهي بشر؟!.. كيف دخلت إلى هنا!، أمعقول أن أحدهم يعيش في منزل زوجي؟!..

-هذا منزل زوجي.

-هذا منزلي، ارحلي من هنا الآن، وإلا سأؤذيكِ.

لم أفهم ما تعنيه؛ فلم أُجب، وقفت في مكانها.. فتضاعف الرعب في قلبي، كانت مخيفة إلى حد قاتل، شعرها أسود طويل يصل إلى الأرض، وجهها أسود قاتم لا ترى منه أي ملامح، بدأت تقترب مني عدة خطوات، وأنا أبتلع ريقي.. وقفت على مسافة مني، وكأنها تنوي فعل شيء ما، تنظر تجاهي.. ليست ببشر!.

أغمضت مقلتي وأنا أرتعش ثم فتحتهما فلم أجدها.. أنفاسٌ ما حولي، أشعر بهواء دافئ بالقرب.. خرجت هربًا من المنزل.

ما أن عدت إلى شقتي حتى دخلت باكيةً إلى زوجي أُوقظه، حاول تهدئتي فلم أستطع التوقف عن البكاء، أطرافي ترتعد.. من هذه المسخ التي رأيتها هناك، وضع الغطاء عليّ عندما أمسك يدي ووجدها باردة، قرأ لي القرآن.. طلبت منه أن يبقى بجواري، ظل حتى هدأتُ، ثم بدأت أحكي له ما رأيته بالمنزل، لم يصدقني!..

-أنت تتخيلين، كيف لأحدهم أن يدخل بيتًا مغلقًا منذ أربع سنوات.. قلت إنك دخلت بنفسك، والمكان كله تراب.

-لم تكن بشرًا.

تعالت ضحكاته، بدت نظراته لي، وكأنه يحدث نفسه عن كوني امرأة مجنونة.

-لأثبت لك خيالك، في المرة القادمة سأذهب معك إلى هناك، فليس هناك أي شيء قد يخيف سوى البشر أنفسهم.

ذهبنا سويًا إلى المنزل، دخلنا معًا وفتح هو الشبابيك.. لم يكن هناك شيء، قمت بتشغيل القرآن، وبقيت إلى جواره، فلا يخطو خطوة إلا وقدمي على قدمه.

انطفأ الكاسيت.

-أنا لم أطفئه!.

-لعل أحد الأزرار قد علق.

شغلته للمرة الثانية، فإذا بالشريط يسف ثم ينطفئ، وهنا ظهرت، كانت في وسط الصالة وأنا بجوار زوجي، تمسكت بذراعه من الخوف.. فإذا بها تتحدث بصوت مشروخ بشع.

-ألم آمرك بألا تأت إلى هنا وإلا سأوذيكِ؟!..

زوجي بجانبي وكأنه لا يصدق ما يرى.. اختفت، كلما تذكرت صوتها دبّ الرعب في قلبي..

من بعدها طاردتني الكوابيس، كنت أراها كل ليلة، تحدثني عن كونها تريد الزواج من زوجي، وستتركنا نعيش في المنزل، أعلم أنكم لن تصدقوني، لكن هذا ما طلبته فعلاً..

لم أدخل المنزل من يومها، لكني خائفة.. لا أعلم ماذا علي أن

أفعل!، وفي إحدى الليالي دخلت على زوجي الغرفة فوجدت طيفًا أسود طويلاً خلف ظهره، وكأنه يتسلقه، صرخت حتى فقدت الوعي، حاول إفاقتي وعندما استعدت وعيي انفجرت باكية، طفلي الصغير لم يعد يرى النوم.. دائمًا يبكي، يخبرني بكونه يرى أشياء مظلمة في الشقة حوله.

دائمًا ما أسمع صوت أنفاس بالقرب، حمام شقتي به شيء غريب، ما دخلته مرة إلا وشعرت بأني لست بمفردي.

بحثت عن أحدهم لصرفها عن المنزل، فشلت كل محاولاتي، وكل مرة أحاول فيها يتضاعف أذاها صوبنا بعدها، منهم من أخبرنا أنه مسٌّ، وآخرون أخبرونا أنه سحرٌ سفلي، حياتي تنهار.. طفلي يضيع مني، زوجي يخشى النوم بجواري فهي تظهر له في شكلي..

في أحد الأيام خرجت من المنزل وتأخرتُ بالخارج، وعندما عدتّ تأسفت له عن تأخري.

-أنت كنت بالخارج، من كان بجواري وأنا نائمٌ إذن؟!.

- ليست أنا!.

بدا الرعب على ملامحه، فقد احتلت حياتي، أنا أتعذب، وكل شيء أصبح على المحك، ليتنا لم نعد، ليتني لم أفتح المنزل..

احذروا هم حولكم، يزدادون في الظلام.. يرونكم من حيث لا تروهم، يسمعون أحاديثكم.. يدخلون أحلامكم.

أنا الآن وحدي، أواجه ذاك الشرّ مفردي، فلم يستطع أحد

مساعدتي، فإن كنت تملك منزلاً مغلقًا، فتأكد كونه خالٍ!.

الساكن الغاضب (٨)

جَلَسَت إلى جوار زوجي ثم نظرت إليّ بعينين مشقوقتين، تصرخ بصوت مخيف "اتركوا المكان وإلا قتلته.. أنا أحذرك، سأضرم النار بجسدك.. اتركوه".

لا أنسى.. كيف لي أن أنسى؟!، لم يكن بالحسبان كل ما دار.. أن تبيت أمورًا على ما يُرام ثم تنقلب إلى جحيم..

لا رغبة لديّ في فتح كتاب الماضي، لكن عليكم الحذر، استمعوا إلى ما سأقول جيدًا، فلا يقع أحدكم بما وقعت فيه.

أحببت زوجي بعد خطبتنا، فلم أكن أعرفه قبل ارتباطي به، شابٌّ في بداية حياته.. بدأنا ميثاقنا بشقة إيجار.. لم يكتب الله لنا الإنجاب في الثلاث سنوات الأولى.. وما أن أراد الله حتى انفتح بابًا للرزق لم يكن في الحسبان..

بدأ زوجي في البحث عن شقة جديدة يشتريها، وفي يوم حسبناه مشرقًا؛ دخل زوجي يُبشرني بكونه وجد شقة بمنطقة سكنية جديدة قريبة من عمله محدودة السكان، كدت أن أطير فرحًا سنتخلص أخيرًا من الإيجار ومشاكله.

أمرني زوجي بإعداد ملابسنا فسننتقل في الصباح مع أثاث منزلنا.. الشقة جاهزة على السكن فقط.

لم أتعجب من كون الأمور تسير بهذه السرعة، بين ليلة وضحاها أصبح لدي منزلي الخاص..

توقفت السيارة أمام عمارة سكنية صامتة، لا صوت واحد فيها، مما دفعني إلى الظن بأننا أول السكان..

-حبيبي.

التفت إلي فسألته ببعض الريب:

-لا أحد بالعمارة هذه غيرنا؟!.

-اممم.. نعم!.

انطلقت ضحكاته.. يعلم بكوني ضعيفة القلب، أنا بالفعل أعشق الهدوء، لكني لا أستطيع البقاء بمفردي؛ خاصة لو كان مكانًا جديدًا.

ما أن ظهر على معالم وجهي الخوف والحزن من سخريته حتى لفَّ ذراعه حول خصري يضمني إليه بشدة حتى أطمئن.

-لا شيء يدعوا للخوف، انظري هنا.

أشار إلى اليمين صوب الطريق ثم أكمل قائلاً:

-العمل عشرة دقائق من هنا بالسيارة، إن حدث أي شيء، أاااي شيء ولن يحدث بالطبع، بمجرد مكالمة سأكون في لحظة.. لا لحظة ماذا، في غمضة عين أمامك.

ابتسمت ثم تعلقت برقبته، كلماته بعثت الأمان بنفسي.. ولكنها تبقى كلمات.

صعدنا للشقة، وساعدنا البواب على الصعود بالحقائب، فأنا أحمل

طفلاً بين أحشائي.. ترك الأشياء بنظرات مثيرة للقلق، ثم خرج دون سؤال.

تعجبت منه ولم أعلق، ثم بدأت بالتفتيش حولي أتعرف على شقتي الجديدة، واسعة.. أربع غرف وصالة؛ مقسمة إلى أجزاء مع مطبخ ودورة مياه.

قفز إلى عقلي سؤالٌ، وجهته إلى زوجي:

-كيف له أن يبيع لك شقة بهذا الثمن الزهيد بالنسبة لها؟!.

صمت نسبيًا ثم أجاب..

-رزق الصغير.

لمس بطني المنتفخة من الحمل، إجابته أقنعتني نوعًا ما، تجاهلت أي تساؤلات أخرى عندما طلب مني تجاهل مثيرات القلق اليوم.

بعد يوم طويل دخلت إلى الفراش.. دخل زوجي غرفتنا ثم أطفأ نورها، صرخت فيه:

-اترك ضوءًا خافتًا.

-مما تخافين؟!.

نظرت إليه في استسلام يشوبه بعض القلق..

-أنا أخاف الظلام.

-أنا هنا..

-أنا أخشى المنزل الجديد، من فضلك اترك ضوءًا خافتًا.

استسلم إلى طلبي، استقل الفراش إلى جواري، ثم ترك ضوء أباجورة صغيرة بجوار سريرنا لأطمئن، دقائق وغرق في النوم، أما أنا فلم أستطع..

ونظرًا لحملي كنت أضطر للذهاب إلى دورة المياه كل نصف ساعة تقريبًا ثم أعُود لأحلامي.. من حسن حظي كونها بالقرب من غرفتي، حتى المرة الأخيرة..

بدأت أغط في سُبات.. انتشلني صوت ما، سمعت صوت باب الحمام يُفتح، تحسست الفراش.. زوجي لا زال هنا!.

أهزه ولا يستيقظ، وكأنه غائب عن الوعي، ضاقت أنفاسي.. صوت أقدام تزحف، بدأ خافتًا ثم ارتفع درجة فدرجة.. فجأة صمت.. وكأنه وقف أمام الغرفة، قلبي سينخلع.

سمعت صوت باب الغرفة يُفتح في بطء، رويدًا رويدًا وروحي تتدلى خارجي، أحاول مناداة زوجي ولا أستطيع.. وكأن الخوف شل صوتي، أطرافي تجمدت.. ساقني الفضول إلى رفع رأسي فرأيتها!..

يا ليت ما نظرت!.. كانت تجلس عند رأسه، لها أنياب تصل إلى الأرض ووجه متآكل أسود، شعرها متقرح، وكأنه منتوف، عيناها مشقوقتان.. جسدي تخدل.

اقتربت من أذن زوجي، ثم حدثتني بصوت غليظ..

"اطلبي منه الرحيل، هذا المكان ليس لكما.. سأذبحه إن لم ترحلا"
ثم اقتربت من رقبته فارتفع صوتي أناديه.. رأيتها تسلخ جزءًا من جلد رقبته بأظافرها، أحاول التحرك ولا أستطيع، بكيت وتواصلت صرخاتي، لم أع بنفسي إلا وأنا بين يديه يحاول إفاقتي وأنا أبكي بشدة، يسألني عن سبب البكاء في هدوء، ويحاول طمأنتي، لكني لا أتوقف.

هدأتُ قليلاً ثم بدأت بسرد ما رأيت، وتابعت..

-علينا ترك هذا المكان، أنا أخشاه.

-هذا كابوس.. مجرد كابوس، لا تستسلمي لهذه الترهات.

-فسر لي إذًا.

-منزل جديد يا حبيبتي، أيّ أحد مكانك، وفي رقتك لم يعتد على مكانٍ ستزوره الكوابيس في أول ليلة.

إجابته المنطقية أصمتتني، استسلمت لها فأنا أريد الاطمئنان، فلو ظللت على هذه الحالة سألد قبل موعدي.

ساد الهدوء الشقة، كنت أخشى المبيت فيها، فأخذ زوجي أجازة يومين وبقي إلى جواري.. نسيت الموضوع نسبيًا وبدأت آلف المكان.

مرت الليلة الرابعة في هدوء، وما أن أتى الصباح حتى أيقظني شيء ما سقط على وجهي، تحسسته فإذا برماد أسود، اعتدلت أتأمله وكأني في حلم.. وما أن استجمعت تركيزي حتى بدأت في الصراخ.. ثعابين صغيرة سوداء تسحب على ملابسي.. سقطت

من ثقب في السقف، انتفض زوجي فأشرت إليه.. بدأ بنفض ملابسي، يطلب مني الهدوء.

-أخبرتك بالكابوس، أخبرتك أن الشقة مريبة ولم تصدقني!.

صرخ فيّ مبررًا:

-قد يكون بيض ثعبان أغلقوا عليه السقف أثناء البناء.

-وما الذي سيُبقيه حيًا، وكيف له أن يظل على قيد الحياة ويأكل السقف؟!.

أخذني زوجي إلي خارج الغرفة، ثم طلب مني الانتظار، حاول الدخول إليها فوجد ثعبانًا ضخمًا يحاول مهاجمته، أغلق الباب ثم اتصل بأحد أخوته فحضر إلى المنزل.

فتحا الباب لقتل الثعبان فلم يجدانه ولم يجدا حتى الثقب في السقف، حينها وفقط اقتنع زوجي ولكنه لم يعترف.

نمت إلى جواره في الليلة الخامسة، أتأمل السقف.. لم أكن أحلم، لقد رأى ما رأيت، انقلب على جنبه.. ونمت على ظهري.

أتعبتني النومة فقمت مكاني، رفعت الغطاء عني.. دماء من تحتي!.. أنا أفقد جنيني!، حاولت النداء على زوجي لم يسمعني، ثم بدأ ألم مزعج باحتلالي.. سمعت صوت أنفاس ساخنة تأتي من الخلف، ارتفع صوت دقات قلبي، أخشى الالتفات.. الصوت يزداد، يا إلهي ماذا أفعل.. وكأن شيئًا ما التف حول فمي، أحاول النظر ورقبتي جامدة.. لمحت باب الغرفة يُفتح من جديد.. كانت هي، أتت تزحف.. وهذه المرة رأيتها كاملة..

لا قدمين.. جسد مسلوخ، قرون تخرج من رأسها.. تقترب في بطء يقتلني، أحاول الصراخ ولا أستطيع، وما أن وقفت بمحاذاة مني، فوجهها يُحاكي وجهي.. أنفاسها الساخنة تلفحني، أتأمل ملامحها في فزعٍ ثم أُسدل جفني.. لا أريد رؤيتها، يا اللّٰه أنقِذني، أنادي زوجي بصوتٍ مكتومٍ، ولا يستيقظ.

صرخت فيّ "ألم أقل اتركوا المكان، سأقتل طفلك، سأحرق بيتك، سأذبح زوجك" خدشت بطني بمخالبها، ثم أسقطتني على ظهري.. جثمت على صدري، ولا أستطيع التقاط أنفاسي، أحاول التملص.. أحاول الصراخ.

فتحت عيني بصعوبة..

كابوس!، جلست إلى جوار زوجي أبكي كطفل صغير.. ألم في بطني.. أتنفس بصعوبة، سمع نحيبي فاستيقظ في فزع.

-ماذا هناك؟!.

أحاول شرح ما رأيت.. ثم أشرت لبطني وكشفت عنها، علامات!!..

ازددت بكاءً، لم يكن مجرد كابوس.. هذا المنزل فيه شيء ما..

-أنا خائفة، هددتني بإجهاضي.

احتضنني يطمئنني وأنا انفطرت بكاءً، لم أعد أشعر بالأمان، ارتدى ملابسه وتركني.. أخبرني أنه سيأتي ولن يتأخر، طلب مني المكوث ببلكونة المنزل حتى يأتي، أمسكت الهاتف ومكثت كما طُلب مني، أغلقت الباب؛ لا أحد بالعمارة كلها سواي.. سمعت

صوت أطباق تتساقط في المطبخ.. دبَّت القشعريرة بجسدي، هدأ الصوت.. فتحت الباب، أخطو بتردد.. ما أن وصلت إلى الصالة حتى تصدرت حرارة ظهري تشبه التي شعرتها داخل الكابوس، التفت في فزع لم أجد أحدًا، وما أن عدت للنظر أمامي حتى لمحت شبحًا أسود ينطلق ناحية الحمام، قلبي سقط في قدميّ، حاولت العودة إلى البلكونة، فانغلق الباب في وجهي، وبدأت أصواتًا تخرج من المطبخ، وأشياء تتحطم بمفردها، هرولت أحاول فتح الباب من جديد حتى انفتح بصعوبة، أغلقته واتصلت بزوجي أبكي وأصرخ.. حضر سريعًا ومعه أخوه، ورجل يرتدي جلبابًا.

بدأ الرجل بالهمس والتفتيش في المنزل، طلب من الجميع الخروج، وترك الشقة الليلة له، نزلنا إلى الشارع ومكثنا بالسيارة..

بعد خمس ساعات اشتعلت النيران بالأثاث، ورأيناها تخرج من الشبابيك.. فإذا بالرجل يهرب من باب العمارة مهرولاً هرعًا:

"أقوياء.. لن أستطيع طردهم".

اختفى بعدها.. لم نعرف ما حدث بالأعلى تحديدًا، أطفأنا النار بصعوبة، بعد أن أكلت ما يقارب من نصف الأثاث، كان دجالاً!.. عدنا للشقة واتصلت بأمي جاءت هذه المرة ومعها أختي وأخي وشيخ، أخبرنا كونه سيحاول.. بدأ بتلاوة بعض الآيات، ورش مياه داخل الشقة، فتح الباب ورسم دائرة وهو يتلوا القرآن ثم أغلقها.. دقائق وبدأ باب الشقة بالطرق، طرقات ثلاث متفرقة بطيئة.. تجمدت مكاني والكل في ترقب من حولي.. تمسكت بيد زوجي فما أراه يشيب له الوليد.

فتح الشيخ الباب.. وكأنه جنينًا في الشهور الأولى داخل الدائرة، أكمل تلاوة الآيات ثم عاد لغلق الباب.

وما أن انتهى من آياته حتى فتح الباب من جديد فاختفى هذا الشيء، التفت الشيخ إلينا ثم أخبرنا أن الشيء الذي يسكن المنزل رحل، ثم ردد "حصنوا أنفسكم بالقرآن".

مكث الجميع بالشقة معنا للتأكد من كون الأمور على ما يرام، مرّ خمسة عشر يومًا ولا جديد، الاستقرار بدأ في العودة.

وفي الليلة السادسة عشر كنت أنام إلى جوار زوجي وباقي الأهل بالغرف الأخرى، دخلت المرحاض فسمعت طرقات، فتحت الباب لأجد زوجي.

-ما الذي أيقظك يا حبيبي؟!.

نظر إلي ولم يجبني!، رحل..

انتهيت وعدت إلى الغرفة لأجده يغط في نوم عميق.. كان يتحدث معي منذ دقائق فقط!.

أتى الصباح فحدثته عما جرى فتعجب مجيبًا:

"أنا لم أغادر سريري أمس!".

دبَّ الرعب في قلبي.. ثم حدثته بصوت مهزوز..

-لم يرحلوا!.

عادت النار تنشب في الأثاث من جديد؛ فقرر زوجي عرض الشقة

للبيع، وفي يوم رحيلنا أخبرنا البواب الذي لم نره منذ اليوم الأول أن العمارة بنيت على أساس منزل مهجور، قُتل فيه أحدهم ولم يعلم أحدٌ من قتله!، كل من عرف قصتها خشي السكن فيها، مما دعا صاحبها للتخلص من شققها بأقل من نصف الثمن.

لدي الآن طفلة في عمر السنة، وضعتها بعد مغادرتنا بأيام.. لا زالت تتردد عليّ الكوابيس

هل سيعودون؟!.. أنا خائفة!.

إياك وشراء شيء تجهل ماضيه.. فلا تعلم أي نوع من السكان قبلك كانوا هنا!.

مجهول الهوية (٩)

أدرك جيدًا كون العالم مليءٌ بالألغاز، فهناك الكثير من الأحداث غير المفهومة، البعض ينكرها خشية تمكن الخوف منه، والآخر يتجاهلها فلا تفسيرًا علميًا.. مع اقتناع تام بوجود تفسير، وإن لم يظهر في الوقت الحالي..

لكن ما حدث لي، حتى اللحظة لا تفسير له، من سمعه لم يصدقه ومن صدقه جن جنونه ولا تفسير..

أنا مُسن بلغت من العمر أرذله، ما سأرويه ليس من خِرف الكِبر ولا خيال الصغر، فأنصتوا جيدًا وحاولوا التصديق..

منذ أكثر من نصف قرن، عندما كنت صغيرًا حيث كنت في العاشرة من عمري، وكان لي أخ أصغر يبلغ من العمر ست سنوات.

كنا نعيش في منزل له سقف مرتفع، فالمنازل قديمًا كانت تتسم بهذه الصفة، سمعنا كثيرًا من الجدات عن الجن والعفاريت والحوريات التي تخطف الرجال على الشاطئ والنداهة في الغيط.

لطالما بعث ما على شكيلتها الخوف داخلنا.. فكلما غرق صغير حدثونا:

"إياكم والذهاب ناحية النهر، نادته الحورية وقتلته"..

فكان التحذير رادعًا..

وكلما وجدوا قتيلاً بين الغيطان تسامرت النساء:

"نادته النداهة وقتلته"..

فلا يجرؤ أحد على الذهاب منفردًا إلى نهر أو غيط.

ذات مساء.. انتهيت أنا وأخي الأصغر من اللعب أمام الباب، ثم دخلنا إلى المنزل عندما دخل الليل، فلا نريد للجنية خطفنا أو للنداهة قتل أحدنا.

الغرفة مقسمة بيني وبين أخي، فله سرير موازٍ لسريري تحت سقف غرفتنا المرتفع، غطّ كلانا في نوم عميق.. وبدأت الليلة المشئومة.

سمعت أنينه، فقلقت من النوم، انقلبت على جنبي ناحيته وفتحت عيني، رأيت مشهدًا أبدًا لم أنسه طوال حياتي.

رأيت رجلاً عملاقًا جِدًّا، عريض المنكبين، سمينًا طويلَ القامة، فكان يحني ظهره من تحت السقف من عظم طوله، له وجهٌ أسود وشعرٌ أشعث، لا عينان له، وباقي معالمه مطمُوسة، ذراعاه طويلتان، يقف عند رأس أخي، ثم اقترب بوجهه منه.

اتسعَ محجري، توقفت أنفاسي، فلك أن تتخيّل طفلاً في العاشرة يرى مثل هذا الشيء في غرفته، فتحت فمي لأصرخ فالتفت إلي، مد أحدٌ ذراعيه.. تمدد حتى وصل إلى فمي ثم كتم أنفاسي.

فقدت الوعي.. استفقت صباحًا، أحاول الحديث ولا أستطيع.. لقد فقدت النطق!، أنظر إلى أخي وأبكي..

لم يفهموا شيئًا، دبَّ الرعب بقلب أمي حينما رأتني وقد فقدت

النطق..

ورغم الأصوات فأخي دون حراك، لم يقلق من نومه!، فاقتربت أمي منه تهزه، تناديه ولا يستيقظ.. لا دقات قلب ولا نفس!.. قد مات أخي!.

لا أحـد يعلـم بالسـبب، أنـا فقـط مـن يعلم.. مـرت شـهور حتـى استعدت نطقي، رويت ما رأيت، البعض صدقني والبعض لا..

وإلى الآن لا أعلم من هذا العملاق الذي دخل غرفتي، لم وجهه هكذا؟!، ليس ببشرٍ هذا كل ما أستطيع تأكيده!.

الرجل ذو الوجه المربع (١٠)

أُعـرفكم بنفسـي، أنـا أسـامة.. شـاب عشـريني، طـالب بإحـدى الجـامعات، أقـرب أصـدقائي يـدعي نـور.. والده يعمل حـانوتي، حيث يقوم بغسل الموتى ودفنهم، أما عن صديقي فكان يُساعده في عمله.

ولأن للضرورة أحكام؛ فظروف العمل تحتم بقاءهما لفترة طويلة بالمقابر، فمعظم إقامتهما كانت بسكن صغير بالقرب من الموتى.

اعتدت قضاء أغلب الوقت معه، كنا لا نفترق أغلب اليوم.. ففي الأيام الخالية من العمل يأتي إليّ، والأيام التي يعمل فيها أذهب إليه أنا.

وفي إحدى الليالي صلينا العشاء سويًا، ثم ذهبنا حيث السكن بجانب القبور، جلسنا على حجرين مقابل لها مباشرة تحت عمود إنـارة خشـبي يستمد نـوره من الـداخل، تسـامرنا وشـربنا الشـاي، وبينما نحن في اندماجنا فإذا بعمود الإنارة ينطفئ.

-سأدخل لأفحص سكين الكهرباء.

حدثني نـور بعدما التفت إلى الداخل فأومأت برأسي إليـه.. لن يحدث شيء على أية حال!.

-لن أتأخر عليك، لا تتحرك.

أشـعل كشـاف هاتفه وذهـب للداخل، وأشعلت أنـا الآخـر كشـاف هاتفي، وانتظرت مكاني حتى يأتي.

قطع صمتي شابٌّ متوسط القامة، متوسط الهيئة ليس بسمين أو نحيف، مرتديًا قميصًا كاروهات وبنطالاً من القماش، يملك رأسًا مربعًا ومصففًا شعره إلى الوراء.

لا أعلم ما الذي أتى به من هذا الطريق في هذا الوقت ولم أسأل حتى، جلس إلى جواري ثم طلب مني القليل من الماء فأعطيته الزجاجة ليروي ظمأه.

انتهى من الشرب ثم أنزل الزجاجة عن فمه، كشف عن ثناياه مبتسمًا..

-شكرًا يا أسامة.

امتلأت تعجبًا، من أين عرف اسمي!..

-كيف عرفت أنت؟!.

-أنا أعرف عنك الكثير.

اتسعت ابتسامته أكثر، سرت قشعريرة ما برقبتي.

-من أنت؟!.

تلا على مسامعي اسمه ثم حدثني عن كونه عليه الرحيل، اختفى عن الأنظار فاشتعل الضوء وعاد نور.. تجاهلت ما حدث، ربما مررت به قبلاً ولا أتذكره.

وعندما عدت إلى البيت وفتحت حسابي على الفيس بوك، نظرت إلى أسماء الأصدقاء فوجدت اسم ذاك الرجل الذي جالسني بالمقابر ثم اختفى!.

جن جنوني.. كدت أفقد عقلي!، من هذا؟!، كيف أتى إلى هنا وأين ذهب؟!، أكاد أقسم أني رأيت اسمه متاح الآن..

في اليوم التالي عدت إلى صديقي لأخبره بما حدث، قابلني وبادر بالسؤال قلِقًا..

-ما بك؟!.

حدثته بما جرى فتعالت ضحكاته قائلاً:

-أهلاً، أظَهَرَ لك؟!.

لم أفهم قصده في البداية فأخذني من يدي، وقفنا أمام أحد المقابر، وأشار إلى الاسم المنقوش عليها..

نفس الاسم!!!!، كيف لميتٍ أن يعود؟!.. لقد كان يجلس معي بالأمس، وتناول من يدي الماء!.

بعدها حدثني صديقي أنها ليست المرة الأولى التي يظهر فيها لأحدهم، وبعد أن علم والد نور بالأمر ووصفته له، أخبرني أنه رجل مات محروقًا دفنه منذ أكثر من ثلاثين سنة.

من هذا وكيف يظهر؟!، لا أدري!..

ما أنا على دراية به جيدًا، أن العالم مخيفٌ وغامضٌ أكثر مما يبدو عليه!.

الجنيَّة التي تحميني (١١)

لا أعلم لِمَ أقصُّ حكايتي الآن، فقد مر أكثر من ست سنوات على الحادثة، وأنا أحاول غلق هذه الصفحة من حياتي لأستطيع العيش..

أشعر بهم أحيانًا وأتجاهل، فما مررت به علمني أن أتجاهل كي أستمر، حتى وإن كان ذلك على كذب!.

"نحن بنات الأزهر، جئناك كي تزهر".. "نحن بنات الأزهر جئناك كي تزهر".

كان المنزل مهجورًا؛ مكونًا من عدة طوابق وأنا في إحداها، نظرت من دوران السلم إلى الطوابق السفلى، أخشاب قديمة أحاول إزالتها كي أرى ما بالأسفل جيدًا.

خرجت الحشرات من بينها، وكأنها لم تزل من مكانها منذ أعوام طويلة، وحدي لا مخلوق.. أشعر بالخوف..

لا أعلم من أي مكان خرجن!، خمس فتيات ربما أكثر.. خلف بعضهن يسرْن من حولي، يبتسمن.. يتحدثن في صوت واحد: "نحن بنات الأزهر، جئناك كي تزهر"...

-أمي! أنا رأيت حلمًا غريبًا!.

حدثتها بما رأيت، حدثتني بكونه حُلم.. مجرد حُلم!.

نعم!.. ليس إلا حُلم من عقلي الباطن لا أكثر، لم أعلم أنها البداية.. علامات لما ينتظرني.

في إحدى الليالي بعد منتصف الليل كنت أجلس في غرفتي وكل من بالمنزل نيام عدا أختي، ناديتها ثلاثًا فلم تجب إلا في الثالثة بصوت شبه مسموع، خرجت من الغرفة أبحث عنها بالغرف فوجدتها نائمة.. قلت حينها في عقلي:

"الحيوانة أناديها فتمثل النوم".

وفي اليوم التالي أخبرتها أني ناديت فتصنعت النوم..

-أنا نائمة من الساعة العاشرة!.

-لا تكذبي، ناديتك وأجبتيني.

أقسمت لي أنها لم تستيقظ ولم تخرج من غرفتها قط منذ الوقت الذي نامت فيه، حينها أثيرت التساؤلات بعقلي:

"من الذي كان يقطن الصالة إذن، من أجابني عندما ناديت؟!".

لم أقف كثيرًا هنا فقد يكون خيالي الواسع لا أكثر، مرت عدة ليالٍ والأمور هادئة ولا جديد، حتى جاءت ليلة لا تشبه أي ليلة!.

نائمة على سريري، بدأت في النعاس.. الغرفة شبه مظلمة بها ضوء خافت من أثر عمود النور في الشارع، فشعرت وكأن أحدهم قيدني وانكمش داخل حضني.

حاولت فتح عيناي وكأني متعاطية لمنوم، جفناي مسدلان يأبيا أن يرفعا، فتحتهما بصعوبة فرأيت شيئًا ما مرتديًا أسود من رأسه حتى أخمص قدميه، يخفي وجهه في صدري، منكمش ونائم.. حاولت التحرك وكأن جسدي مقيد، ظننتها أختي فحاولت

الاعتدال وأكملت النوم، مرت ساعة ثم استيقظت، أنظر إلى جواري فلم أجد أحدًا بالغرفة!.

وفي الصباح سألتها مازحة:

-لا تحبين النوم بجوار أحد، ما الذي جعلك تنامين جواري أمس.. وليس هذا فقط تتعلقين بحضني أيضًا.

-أنا؟!!!.

قالتها في تعجب، ثم أخبرتني أنها لم تنم بغرفتي أمس من الأساس!.

هنا بدأ الخوف يتسرب إلي!، إن لم تكن هي.. فمن الذي شاركني غرفتي بالأمس؟!.

منذ هذه اللحظة وبدأت الحياة تأخذ مسارًا آخر..

استيقظت من النوم ليلاً، المنزل مظلم والشارع مظلم، بدا وكأن الكهرباء مفصولة فلا إضاءة، أنادي أهلي ولا أحد!.

أين ذهب الجميع؟!، ساقتني قدماي إلى غرفة الضيوف، لها شرفة تطل على سطح منزل قديم متهدم، ضوء ما ينبعث من هناك.. اقتربت في تردد، وما أن وجهت عيناي ناحية المنزل حتى وجدتها!.

امرأة ترتدي الأسود من الرأس حتى الأخمص، أكانت هذه التي بجواري منذ أيام!، راكعة على الأرض، لا يُرى منها شيء، ممسكة بعمود خشبي في نهايته ضوء.. نادت اسمي بصوت مخيف،

تجمدت مكاني.. وكأنها همت بالاقتراب، أين أذهب!.. الشارع كاحل السواد وكأن الجميع اختفى.. أبحث عن مكان أهرب إليه، ومن بين خوفي واضطرابي ظهرت فتاة.. جذبت يدي.. جلست على الأريكة من بين الظلام وأسندت رأسي، همست إليّ " لا تخافي!"، ثم بدأت بتلاوة القرآن والمسح على شعري.

-كابوس!.

استيقظت اتصبب عرقًا، ما هذه الأحلام التي تطاردني، المرأة التي كانت بأحضاني منذ أيام كيف دخلت إلى حلمي!، أنا لا أتخيل.

حاولت إقناع أمي بأن أمرًا مريبًا يحدث لي ولم تقتنع، الآن أنا في مواجهة شيء غريب وحدي لا علم لي بطبيعته، يدخل إلى رأسي ويتلاعب بأفكاري.

بدأت الأمور تتطور.. أحدهم ملتصق بظهري حرارة تخرج منه، ألتفت ولا أجده، حتى بدأ في الظهور!.

ففي يوم ما خرجت أمي من المنزل، وبقيت أنا بمفردي فجلست أشاهد التلفاز في إحدى الغرف.. سمعت همسًا ما!..

-من هناك؟!.

اتلفت حولي لا أثر لشيء، تجاهلت ما حدث، حتى سمعت خطوات ما على سيراميك الصالة، وكأن أحدهم مرتديًا حذاء كلاكيت، كل خطوة يخطوها بصوت.. خطوات متباعدة وكأنها لشخص لا يستطيع المشي.

أنا بمفردي بالمنزل ماذا علي أن أفعل!، وقفت مكاني محاولة الوصول لباب الغرفة.. فتحته في حرص.. أفتش في الأرجاء، الضوء خافت!.. فتحت النور الرئيسي فلمحت شيئًا ما!.

طيفٌ أسود تسلق الجدار ثم فر سريعًا حيث ظلام المطبخ.

كل ما فعلته حينها الصراخ، عدت إلى الغرفة وأغلقت الباب، أتلو القرآن وأبكي.. عادت أمي إلى المنزل، أصابها الفزع من مظهري.

-ماذا هناك؟!.

جلست أروي لها ما حدث، وهنا قررت أمي أخذ موقف، أمر مريب يحدث لي، وعليها مساعدتي.

في بداية الأمر كنت أرفض التعامل مع أي شخص يدعي علاجي، كانوا في نظري دجالين لا أمل يرجى من مساعدتهم أو محاولاتهم..

-ادخلي!.

اتسعت عيناه فور رؤيتي ثم ابتسم، وكأن وجهه تبدل.. كان يرتدي بنطالاً وقميصًا وجاكتًا يقيه البرد، رجل عادي لكني شعرت بالريب ما أن رأيته، حينها أعطيته ظهري وقد هممت بالرحيل، أمسكتني أمي..

-إلى أين تذهبين؟!.

-ابتعدي عني!.

حاولت الإفلات فلم أستطع، أجبروني على الجلوس أمامه، نظر

إلي.. اتسعت ابتسامته أكثر بشكل مريب، ثم تحدث في صوت هادئ:

-هي معك، مما تخافين؟!.

-مَن؟!.

فتح دفترًا أمامه، ثم بدأت يده في الارتعاش، يتمتم بكلمات لم أفهمها، التفت إلى الدفتر، والقلم يكتب، وكأن لا إرادة لصاحبه.. كالآلي يتحرك بنانه بأحرف غير مفهومة، وكلمات مقلوبة.

ثم همس "ماذا أفعل؟!"...

جلست أتأمله دون اهتمام لما يفعل، ما يصنعه الآن لا أمل منه، ما يفعله الآن بعيد كل البعد عن الكتاب والسنة.

التفت إلى أمي طالبًا منها عدة أشياء لا أعلم ما العلاقة بينها..

-أحضري عشر شمعات حُمر، ومكيالاً من الملح.. بعض البخور وجزءًا من الطعام، أشعلي الشمع واتركيه بغرفة فارغة ومعه الباقي.. إياكم فتحها لليلة كاملة.

أومأت أمي برأسها ثم بدأت في إعداد ما طلب..

ضوء الشمع بدا من زجاج الغرفة المظلمة، فرقعة وهمسات تبث الخوف.. ماذا يحدث داخلها؟!.

تمددت على سريري، لم أعد أنام بمفردي.. اعتدت على مثل هذه المشاهد، فلا هدوء بأحلامي أو خارجها!.

ومن بين الظلام رأيته من جديد!، كان يقف بزاوية الغرفة.. لم يبدُ منه غير السواد، ارتفعت دقات قلبي.. واقف جامدًا دون تحرك، تجمدت ولا أستطيع الصراخ.. اتأمله وفقط، أغمضت عيني.. أخشى فتحهما، أخاف أن أراه ثانية، وما أن فتحتهما حتى رأيته بشكل أقرب، كان يزحف على السقف، فوقي تمامًا.

أتمتم بآية الكرسي، أحاول تذكر كل ما حفظت من القرآن، أناجي الله في سري أن يُنجيني.. واربت جفناي فلم أجده، رحل!.

التصقت بظهر أختي، أنتفض طيلة الليل من الخوف، وكأنه طويل لا يمر.. أشرقت الشمس، خرجت من سريري، وأنا لم أر النوم، سمعت صوت أمي من الغرفة التي أشعلت بها الشموع..

-اختفى الطعام الذي وضعته بالأمس!.

لدي شعور سيء بأن الأمور ستزداد سوءًا، أهذه مجرد وساوس أم أنها فراسة تنذر بالقادم؟!.

مرت عدة ليالٍ هادئة، ولكني لم أتحسن، لا زال ذاك الشيء الساخن يلاحقني، أشعر به أينما ذهبت.. لا يتركني حتى في نومي.

ثم عادت الأمور أسوأ مما كنا فيه، عادت الكوابيس والخيالات.. عاد هذا الشيء، وكأنه يريد قتلي..

علمت جدتي التي تسكن منزلاً بعيدًا بما حدث، حضرت إلى بيتنا وبيدها رجل.. لا أعلم ماهية علاجه، لا أعلم أي موهبة أمتلك.. كل ما أعلمه جيدًا كونه أبكاني على شيء لم أره في حياتي.

دخل المنزل ثم جلس، بسيط أقرب إلى الفقر من التوسط، ملابسه شبه نظيفة غير منسقة، طويل ونحيل، أملس البشرة فترى الشعر خفيفًا ينبت في أماكن متفرقة من وجهه، أشعث، حذاؤه بالٍ قديم.

رن هاتفه فأجاب بصوت شبه مسموع، دفعني فضولي إلى التعرف على ما يقوله.. خرج صوت ناعم باكٍ من حنجرته، وكأنه صوت فتاة..

تغيرت معالم الرجل وكأنه شخص آخر، نفس الوجه يحمل معالم أخرى لو ركزت فيها لأيقنت اختلافها..

-لا.. أنت أبكيتني، حسنًا.

كلمات متقطعة لم أخرج منها بعبارة أفهمها.. ثم اعتدل صوت الرجل محدثًا المرأة على الهاتف:

-سأحاول إصلاح ما حدث.

أغلق هاتفه ثم تأملني، حينها حدثته في تحدٍّ غير مسبوق، فليس من عادتي التحدث عن أمر لا يخصني:

-لماذا تغير صوتك؟!.

ابتسم وكأنه مُدرك لما سأقول، ثم سألني:

-وماذا لاحظتِ؟!.

-طبقات صوتك.. سمعت صوت فتاة يخرج من فمك، ووجهك تغير شكله.

لم يتحدث عن الأمر، وكأنه لا يسمع ما أقول.. سألني عما أراه فأخبرته، اقترب مني كالأفعى، ثم طلب مني تدقيق النظر في وجهه..

-ماذا ترين؟!.

-لا أرى شيئًا!.

حينها صاح فيّ..

-تمعّني أكثر!.

استجمعت تركيزي، تمعّنت بوجهه قدر ما استطعت.. فرأيت شيئًا كاد يوقف قلبي، تهدل جلد وجهه، وكأنه لرجل عجوز، تمددت وجنتاه.. وبدأ فمه في الاتساع، ثم ظهر انكماش على جبهته واسود وجهه، اتسعت عيناه فجأة.. كدت أصرخ وأهرب من أمامه فأمسك معصمي، حدثني بصوت غير صوته وكأن داخله آخر:

-مما تخافين، لا تخافي.

جسدي انتفض.. بدأتُ البكاء من الرعب.. عاد الرجل إلى طبيعته ثم سألني:

-ما الذي رأيتِيه..

أبكي وأحكي.. فبدأ بالتفتيش بناظريه حوله، علق عينيه على غرفة بجوار المطبخ، ثم طلب مني المكوث فيها بمفردي..

-لا، أنا خائفة!.

تبدّل وجهه وصوته من جديد ثم حدثني..

-أخبرتك ألا تخافي.

دخلت إلى الغرفة، أغلقت الباب كما طلب مني، ثم أغمضت عيني، شعرت بذاك الشيء الساخن من جديد، ولكن هذه المرة أمامي، وكأنه يقف أمام وجهي.. أتحسس أنفاسه وأسمع صوته، قتلني الرعب..

أأفتح مقلتي؛ أم أظلّ على هذا الحال، دفعني الخوف إلى النظر، وجدت ذاك الشيء أمامي، كان أوضح..

تعالت صرخاتي ففتحوا الباب.. اختفى!.

-جنيّ طيّار.

هكذا تحدَّث الرجل، أرجع ظهره إلى الوراء ثم حدثتني:

-هي معك، مما تخافين؟!.

تذكرت كلمات الرجل الذي أتى من قبله.. أخبرني بمثل العبارة ولم يجب، سألت من بين خوفي في فضول:

-من؟!.

-جنيَّة مسلمة.

-لا أفهم ما تقصد.

أسند كفيه على ركبتيه، ثم اعتدل في جلسته، غرق في الصمت.. لوهلة ظننته غفل، التقط نفسًا طويلاً ثم التفت إلي:

-السلام عليكم.

خرج صوتٌ جديدٌ من حنجرته، صوت امرأة.. حدثتني وكأنها صديق يعرف الكثير عني، ثم سألتني:

-تعرفين من أنا؟!.

من بين الخوف أجبت بالنفي، حينها أكملت بصوت جامد:

-أنا أعرفك، أنا "كذا".. كنت معكِ طيلة الوقت.

-معي أين؟!.

تتحدث معي.. قلبي يرتعش، حاولت التماسك وإبداء القوة، لم أكن أشعر بنفسي، فوجدتها تخبرني:

-لماذا تريدين البكاء؟!.

-أنا لا أريد البكاء.

صدقت كونها شيئًا رافقني طويلاً، شيئًا لم أره.. لكنه كان موجودًا، فما أن أكدت كوني سأبكي حتى انفجرت باكية.

-لا تبك.

سألتها من بين دموعي:

-ما الذي يحدث لي؟.

-كنا هكذا..

أشارت بأربعة أصابع، وكأنها تجهل العد.

-تقصدين أربعة؟!.

أومأت برأسها ثم أكملت:

-قتلوا ثلاثة مِنا، ولم يبق سواي.

انتهت من حديثها ثم رحلت، ثم بدأ الرجل في الشرح..

-هنا في المنزل سحرٌ مدفونٌ منذ ٦ سنوات، كانت "كذا" تدافع عنها ضد الجن الطيار، كانوا أقوى، فقتلوا ثلاثة كانوا معها وحبسوها.

التفت إلي يحدثني:

-انسيها هي الأخرى بعد العلاج، هي تحضر إذا ذكرتي اسمها.. عودي إلى حياتك.

حينها بكيت وكأنها صديق قديم، عادت في جسد الرجل تحدثني كونها سترحل معه.. فانفرط عقد عَبَرَاتي!.

عالجني بالرصاص.. ثم طلب مني شرب ماء بالسدر، متلوٌّ عليه القرآن والاغتسال به، وألا أترك ذكر اللّٰه..

عادت الأمور تدريجيًا إلى طبيعتها، وعدت أمارس حياتي بشكل طبيعي، لم أعد أذكر اسمها وأهرب من التفكير فيها، أخشى أن تعود كما حدثني.

أتعتقدون كونها النهاية؟!.. أنا أتمنى!.

خلف الشجرة (١٢)

كنا ثلاثة أصدقاء، اعتدنا لعب كرة القدم ليلاً، وفي إحدى الأيام ارتفعت حرارتي فلم أخرج للعب معهم كما اعتدت.

دخلت في نوم عميق، فراودني حلمٌ عن رجل يرتدي عباءة كتلك التي كان يرتديها المماليك في الأفلام التاريخية.

استيقظت من النوم صباحًا، لم أُعر انتباهًا للحلم، فالحمى تصنع في أحلامنا المعجزات.

أتى الليل، نزلت لأصدقائي نلعب سويًا كما اعتدنا، وما أن توقفنا عن اللعب، وقررنا العودة إلى منازلنا حتى استوقفنا شيء ما..

كان المكان حالك السواد، لا يحمل سوى ضوء خافت مصدره عمود إنارة بعيد، تحفُّه أشجار عملاقة متشابكة.

خرج صوت ما من خلف إحدى الأشجار يشبه زمجرة أسد في بداية غضبه..

-ما هذا الصوت؟!.

حدثتهم فبدا على وجوههم التعجب، ثم انقلب لخوف بارتفاع الصوت، حينها قررنا الاقتراب من الشجرة والكشف عما خلفها، أزحنا الفروع فبدا لنا من بين الظلام رجلٌ ما!.

كان نفس الرجل الذي رأيته بالحلم مرتديًا العباءة نفسها له لحية بيضاء طويلة ووجه أسود، طويل القامة فنكاد نصل إلى نصف ركبته، يخرج منه ذاك الصوت الغريب، كل ما فعلناه حينها الجري.

عدونا سريعًا حتى وصل كل منا إلى منزله، استلقيت على ظهري أنظر للسقف، لم يباغتنِ النوم إلا بعد وقت طويل.. وبعد مرور بعض الوقت سمعت نفس الصوت.

فتحت عيني لأجده يقف بزاوية الغرفة، اقترب مني فتجمدت.. لم أصرخ لكني أذوب رعبًا، فتحت أمي الباب في هلعٍ..

-حبيبي ماذا حدث؟ لماذا تصرخ؟!.

نظرت أمامي لم أجده، أنا لم أصرخ!، كيف لها أن تسمع صراخًا لم يخرج مني؟!، حدثتها بما حدث، وعندما اتصلت بأصدقائي أخبروني بأن الرجل ظهر لهم بغرفهم بعد أن عادوا لمنازلهم هم أيضًا.

أحضر أبي شيخًا للمنزل، وبدأ بتلاوة القرآن.. ثم طلب مني الالتزام بالأذكار، وطلب من أبي ألا يكف عن التلاوة لتُطرد الشياطين من أيّ ركن.

لم يعد هذا الرجل يظهر كما كان، مرت الأيام وانتقلت أنا وأسرتي إلى دولة أجنبية قضيت حياتي هناك حتى التحقت بالجامعة.

وفي إحدى الأيام بينما أجلس بأحد الحدائق العامة، سمعت صوتًا شبيهًا بالزمجرة، أنا أتذكر هذا الصوت جيدًا، انقبض قلبي.. أخشى الالتفات فيتحقق ما يدور في عقلي.

اقتربت من مصدر الصوت لأجده، ظهر من جديد، ثم عاد للاختفاء!، أحدهم كان جالسًا بالقرب مني..

-سيدي! هل رأيت هذا الرجل الذي كان يقف هنا؟!.

أخبرني أنه لم ير أحدًا.. وأنه لم يكن هناك أحد من الأساس، وما أن عدت إلى المنزل حتى اتصلت بأصدقائي القدامى فحدثوني أنه ظهر لهم وعاد من جديد.

لا أدري ماذا أفعل الآن، ماذا يريد مني، ولم عاد لمطاردتي، أنا لم أعد أشعر بالأمان على الإطلاق.



الثلاثة داخلها (١٣)

ليتها لم تتركنا هذه الليلة، ليتها لم تغادر المنزل..

كنا نحيا حياة مستقرة هادئة، نتشاجر أحيانًا، فلا تخلو الحياة بين أي زوجين من المشاحنات، وسرعان ما تعود الحياة إلى مجراها من الاستقرار.

منذ أكثر من ثلاث سنوات، مرت أسرتنا بأعنف أزمة شهدتها منذ زواجنا، سبَّب الأمر الكثير من المشاكل؛ فقد ضاق استيعابي عنها، أقل الأشياء كانت تثير غضبي، افتعلت المشاجرات لإخراج طاقة الغضب داخلي، حتى ضاقت الدنيا بزوجتي، وفاض بها الكيل.

-لم أعد أتحمل، سئمت هذا البيت وهذه الطريقة، أنت لم تشتريني.

هكذا حدثتني وقد انفطرت باكية، قبل أن تغادر المنزل ليلة العيد، تركتها ترحل فقد أعماني الغضب، لا أعلم إلى أين ذهبت، ولا كيف مشت بالشارع وهي على هذا الحال، ولكنها عادت.. عادت بعدها بساعات قبيل الفجر ووجهها يحمل معالم أخرى غير التي ارتحلت بها.

وجه امرأة لم تكن تتشاجر أو تبكي منذ ساعات.. منعني كبريائي من سؤالها أين كانت أو ماذا فعلت، تمددت إلى جواري وكلانا منفصل عن الآخر، كانت رأسي تحمل الكثير من التساؤلات، فبدا الأمر وكأنها لم تتأثر!.

في ثاني أيام العيد أخذتها والأولاد وذهبنا لزيارة أهلها، انتهت

السهرة وعدنا للبيت.. نام أطفالي ودخلت غرفة النوم، كنت أنوي مصالحتها ولكني رأيت شيئًا يشيب له الشعر..

لم تكن زوجتي!، كانت مسخًا.. جسدها مليء بالشعر، أذناها طويلتان، ووجهها يحمل وجه قرد، كل ما فعلته حينها أني خرجت من الغرفة، وهرولت إلى بيت أهلها.

-ماذا هناك؟!.

رويت ما رأيت لأمها، وما أن علم إخوتها حتى حدثوني بكونهم سيسارعون في جلب شيخ للمنزل، ربما هناك أمر متعلق بالسحر أو شيء كهذا.

عدت إلى المنزل فوجدتها نائمة، تركتها في السرير وأغلقت الباب، ثم ذهبت للنوم جانب طفلي في الغرفة الأخرى.

أتى الصباح وجلست أتناول الإفطار إلى جوارها، وكأنها فاقدة للذاكرة.. أروي عليها ما حدث، وهي لا تتذكر أي شيء.

-متى حدث كل هذا؟!.

-كيف لا تتذكرين!.

تبدلت معالم وجهها وكأنها أخرى، ابتسمت ببرود، ثم بدت نظرة شريرة من مقلتيها، حدثتني بتحدٍّ:

-وما رأيك؟!.

- بماذا؟.

سألتها وقلبي يحمل الريب، شعرت كونها امرأة أخرى.

-بما حدث أمس.

حينها أيقنت أنها ليست هي، دبّ الرعب بشراييني.. أأُكمِل الحديث معها أم أصمت.. فاخترت إكمال الحديث.

-من أنت؟!.

ابتسمت حتى بدت ثناياها، ابتسامتها أذابتني.. فاختفى ذاك الشيء، وعادت زوجتي إلى طبيعتها، حدثتني كونها تشعر بالضيق، ثم بدأت بالبكاء.

وبعد مرور عدة أيام اتصل بي أخوها، وطلب مني إحضارها، حيث أنهم جلبوا شيخًا المنزل، جهزت نفسها، وخرجنا من المنزل، وما أن وصلنا حتى دخلت معها غرفة الضيوف، كان الشيخ بالداخل.

رجل أشيب له لحية بيضاء، يرتدي جلبابًا من القماش، ما أن جلست زوجتي مقابله حتى نظر إليها نظرةً طويلة، لمحتها تبادله النظرات.. وكأنها تعلم ما ينوي.

جلس أمامها ثم حدث أخويها:

-إذا تحركت قيدوها.

لمحت الرعب على وجه زوجتي، وحينها اختلط عليّ الأمر أكانت هي فعلا، أم الكائن الذي داخلها!.

بدأ الشيخ في تلاوة فاتحة الكتاب، ثم بعض الآيات، أغمضت

زوجتي عينيها، وكأنها غابت عن الوعي.. وما أن انتهى حتى بدأ بمناداة الشيء داخلها.

"بقوة لا إله إلا الله، إن كان بالجسد شيء فلينطق، بقوة لا إله إلا الله إن كان بالجسد شيء أن ينطق ".

يكررها مِرارًا ومِرارًا حتى فتحت عينيها، ثم انطلقت منها ضحكات عالية..

-لن أخرج منها مهما فعلت.

-بل اخرج منها بقوة لا إله إلا الله.

صرخ فيه:

-قلت لن أخرج.

-أنت بمفردك؟!.

صمت الشيء، وكل ما كان يفعله أن ينظر بحقد، حينها صاح الشيخ فيه:

-انطق وإلا تلوْت آيات الحرق، انطق بقوة لا إله إلا الله.

-لا.

-كم عددكم؟!.

عاد للصمت، فبدأ الشيخ بتلاوة بعض الآيات؛ فتعالت صرخات الكائن في جسد زوجتي، انتفضت من مكانها فطلب من إخوتها تقييدها.

أخرج عصًا ما، ثم بدأ بالحديث إليه يهدده بالضرب، لا أعلم ماهية هذا العلاج، لكني تركتها له علّها تشفى.

بدأ بضربها وتلاوة الآيات وهذا الشيء يصرخ:

"لن أخرج منها، سأحرقك، سآخذها تحت الأرض".

أكمل الشيخ جلسته حتى صمت، حدثنا كونها شُفيت لكن عليها الاستمرار على الأذكار وتلاوة البقرة والاغتسال بماء مقروء عليه.

مرت عدة أيام هادئة، وكأنها عادت لما كانت عليه، حتى استيقظت على صراخ أطفالي في الغرفة الأخرى.

وجدت زوجتي فاقدة الوعي على الأرض، مبعثرة الشعر وعلى وجهها بعض الكدمات، أخذت الأطفال أهدئ من روعهم، ثم حاولت إفاقتها، وكانت لا تتذكر أي شيء.

عالجت خدوشها الصغيرة، وبدأت أفهم من الأولاد ما حدث، فأخبروني أن صوت طفل خرج من حنجرة أمهم والتحمت معهم في شجار، حاولت التعدي عليهم بالضرب لكنها سرعان ما فقدت الوعي.

صنع ما حدث حاجزًا بينها وبين أطفالنا، فأصبحوا يخافون التواجد معها في أي مكان بمفردهم، وهي الأخرى مسكينة باتت تخاف عليهم من نفسها.

وفي إحدى الأعياد أتى أخوها الأكبر مع زوجته، جلسا يحدثانها وأنا إلى جوارهم، وعندما حدثتها زوجة أخيها تسألها عن حالها

تبدل وجهها.

-ليس لك علاقة بحالي!.

صمتت.. فناديت أمي لإعداد شيء يأكله ضيفي، حينها تحدثت زوجتي في عناد:

-لا تصنعي لهما شيئًا.

لولا إدراك زوجة أخيها لحالها؛ لكانت تركتها ورحلت، حينها وقف أخوها في مكانه وهمَّ بضربها، يعلم أنها ليست أخته بل ذاك الشيء داخلها، فاستوقفته زوجته، وطلبت منه أن يهدأ، ثم توجهت بالحديث إلى ذلك الشيء:

-من فضلك ارحل ودعنا نتحدث إليها لدقائق وسنغادر!.

امتلأت تعجبًا من فعلها، فبعد أن طلبت ذلك غاب الأخير واستعادت زوجتي جسدها.

مرت الأيام علينا بعدها بصعوبة، فمرة يخرج من فمها صوت رجل، وأخرى امرأة أو طفل، الأمر ازداد صعوبة ولا سبيل، حينها قررنا العودة إلى المحاولة فكلها أسباب والله الشافي.

جلبنا شيخًا جديدًا لا يعالج بالضرب، فالمرة الأولى لم تفلح.. جلس الرجل أمامها كسابقه..

"بقوة لا إله إلا الله إن كان في الجسد شيء أن ينطق"

يكررها ويكررها، وهذه المرة لم يستجب الشيء.. بذل الشيخ مجهودًا وهذا لا ينطق، ولا يعطي إشارة لوجوده..

"بقوة لا إله إلا الله إن كان في الجسد شيء ادفعه"

لا صوت، لا استجابة.. فقط سكون!.

ولما يئِسَ طلب منها الاستمرار على البقرة والأذكار والماء المقروء عليه..

كان الأخير.. رحل ولم نحاول من بعدها، لم تعد زوجتي تغلق أنوار الشقة في الليل، تخشى على الأولاد من الظلام، باتت متعايشة مع هذه الأشياء.

لا علم لي ما تُخبئُه الأيام لي ولها، ولكني حقًا سئمت، ولا أدري أيّ أمر مريب قد يستخدمون جسدها لارتكابه!.

الفندق المسكون (١٤)

مرّ عامٌ على هذه الحادثة، ويعلم اللّٰه كم أثرت في نفسي، فبعد مغادرتنا لهذا المكان لم يغمض لي جفن أو يهدأ لي بال، بثُّ أخاف من خيال أطفالي إن مرّ جواري فجأة بالمنزل.

"أمي، انظري!.. هذا الطفل هناك يضايقني".

انتقلنا مع زوجي إلى منطقة نائية بأحد مناطق السعودية، فالشركة التابع لها في صدد بناء فرعٍ جديد لها، واختاروه على رأس المشروع هناك.

نظرًا لأن المنطقة متطرفة؛ فتكاد تكون معدومة إلا من الأقلية من السكان، فالفنادق هناك محدودة، ونادرًا إن أهلت.

استقللنا جناحًا بأحد الفنادق القريبة، وفي الليلة الأولى اتصل زوجي وأخبرني بكونه مضطرًّا للمبيت بعمله الليلة، فإن احتجت شيئًا علي الاتصال بخدمة الغرف، أو به وسيتصرف.

نظرًا لإجهادي الشديد طلبت من أطفالي الخلود للنوم، ولم أعِ بنفسي إلا وقد استيقظت على صراخ أحد أطفالي الذي لم يتعد الأربع سنوات.

هرولت إلى غرفته وكأني بين الصحو والنوم..

-ماذا هناك؟!.

تعالت صرخاته، لم أفهم شيئًا من كلماته، كل ما كان يفعله الإشارة إلى الحائط، وأنا أهدئ من روعه.. وما أن انتهى من

البكاء، حتى بدأت عباراته في الوضوح.

"أمي، انظري هناك.. ذاك الطفل يضايقني".

التفت لم أجد شيئًا، أيقنت أنه خياله الواسع نظرًا لكونه طفل، بقيت إلى جواره حتى هدأ ونام.. ثم عدت إلى النوم.

في الصباح أتى زوجي، وتناولنا الإفطار سويًّا، وسألني إن كانت الأمور سارت على ما يُرام في غيابه، لم يكن هناك ما أرويه.

وعند اقتراب الليل غادر زوجي؛ فعليه البقاء بالعمل، نام أطفالي بأسرتهم، وجلست أمام التلفاز.

الغرفة تحتوي على سرير كبير وفي الوجهة التلفاز، على يمينه كرسي هزاز، شعرت بخمول انتشر في جسدي، أقاوم النعاس وأفتح جفني فلمحت شيئًا ما.

بدا وكأنها امرأة.. مبعثرة الشعر، ينتشر الشيب في رأسها، لها أذنين كأذني الفأر، وجهها مغطى بشيء أسود، جالسة صوبي تتأرجح على الكرسي، لو تأملتها لظننت أنها تنظر إليّ من خلف غطاء وجهها.

كلما تأرجح الكرسي أصدر صوتًا، ثباتها مريب.. وكأنها تفكر بشيء، ما أن رأيتها حتى هممت بالصراخ فلم أستطع، حاولت التحرك وكأنني مقيدة بأحبال لا أراها.

وقفت مكانها فتجمدت أطرافي، وما أن اقتربت خطوة مني حتى بدأت في الاستعاذة، وكأن لساني مشلول، لا أستطيع الحديث.. بدأت في البكاء.

عاد صوت التلفاز!، استعدت حركتي.. أتأمل الكرسي هناك ولا أجد أحدًا، بدا لي وكأنني غفلت.. كابوس!.

مرت الأيام، وفي إحدى الليالي جلست على مقربة من أطفالي فرأيت منظرًا جمَّد الدم بعروقي، لمحت خيال طفل على الحائط يجري خلف كرة، ثم اتجه الخيال ناحية الحمام.. وحينها سمعت أصوات كالهمس تخرج من الداخل..

اتصلت بزوجي ليحضر ويقلنا من هذا المكان.. وفي آخر ليلة لنا بهذا الجناح تركني زوجي بمفردي بغرفتنا، ثم ذهب إلى غرفة أطفالي.

دخل زوجي الغرفة لا يتفوه بأي كلمة، ينظر إليّ بجمود.. أحدثه ولا يجيب، تركني ودخل الحمام.. دقائق ووجدته يدخل غرفة النوم من جديد.

-كيف؟!!!.

-كيف ماذا!.

-أنا كنت أتحدث إليك منذ دقائق ولم تجبني، ودخلت الحمام!.

اتجه زوجي ناحية الحمام يفتح بابه.

-لا أحد بالداخل، وأنا لم أدخل الغرفة إلا الآن!.

أقسمت له أني رأيته، وأني تحدثت إليه، وأنه دخل الحمام وأغلق الباب عليه..

كل ما فعله حينها أن أمرني بجمع أغراضنا ،وغادرنا المكان في لحظتها.

تـأثرت بما حـدث، فقـدت الأمـان، عرضـني زوجـي علـى بعـض الشيوخ، وخضعت للعلاج النفسي لفترة..

لن أنسى ما حدث أبدًا ماحييت.